فاتح الأناضول

السلطان ألب أرسلان

بسم الله الرحمن الرحيم

يوسف دورسون

فاتح الأناضول

السلطان ألب أرسلان

دار المكتبي

الطبعة الأولى
2020 - 1441

فاتح الأناضول
السلطان ألب أرسلان

ANADOLU FATİHİ
SULTAN ALP ARSLAN

يوسف دورسون
Yusuf DURSUN

ترجمة
ياسمين الضامن

مراجعة وتحرير مركز التعريب والبرمجة
بإشراف الدكتور غياث المكتبي

قامت دار المكتبي بترجمة هذا الكتاب الصادر عن
Nar Yayınları

منحة الترجمة
Translation Grant
صندوق منحة الشارقة للترجمة
Sharjah Translation Grant Fund

جميع الحقوق محفوظة

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - الشارقة - القاهرة
دمشق هاتف 00963112248433 فاكس 00963112248432 ص.ب 31426
الشارقة هاتف 0097165512262 فاكس 0097165512264 ص.ب 3309
e-mail:daralbaraem@gmail.com almaktabi@gmail.com
www.almaktabi.com

الإهداء

لابني ألب أرسلان

ولكل ألب أرسلان شجاع

يوسف دورسون

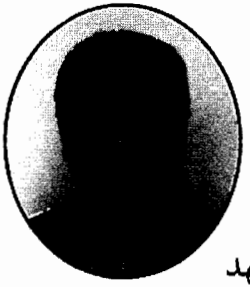

كاتب ولد في يوزغات موسابيلي عام ١٩٤٩ ودرس في مدرسة يوزغات للمعلمين عام ١٩٦٨ التحق في عام ١٩٧١ في قسم اللغة التركية في معهد أرضروم للتعليم. أتم المرحلة الجامعية في جامعة الأناضول في عام ١٩٩١

في عام ١٩٩٦ تقاعد من تدريس اللغة والأدب التركي ، ومن ثم عمل في التدريس في مؤسسات التعليم الخاص لمدة سبعة عشر عاماً .

حصل على العديد من الجوائز في مجالات الشعر ابتداء بقصيدة الفتاة اليتيمة ، دخلت بعض القصائد التي نظمها الكتب المدرسية .

يستمر يوسف دورسن ، الحاصل عام ٢٠٠٩ على جائزة اسكادر (رابطة بحوث الفن والثقافة) ؛ جائزة أدب الطفل في خدمة الأدب التركي بالشعر والحكاية والقصة والرواية وأعمال أدبية أخرى .

ـ أتدري ، يقولون إن سلطاننا حضرة أرطغرل بك مريض .

ـ المرض عندنا للعبيد ، ماذا أصابه ؟

ـ ليس بأيدينا سوى الدعاء لله أن يتم عليه الشفاء ، هيا فلنهتم بعملنا .

في صباح ما في مدينة مرو كان إثنان من الأصدقاء هكذا يتحدثان . في الواقع كان هناك حديث مشابه لحديث أولئك الصديقين عند كل بقالة وفي فناء كل بيت .

تابع الصديقان حديثهما :

ـ إنك تقول الصواب ، فلنهتم بعملنا ، لكن ماذا لو فقدنا سلطاننا ؟

ـ أيضاً لن نستطيع فعل شيء يا عزيزي . الأمير الذي سيأتي من بعده سنذعن لما يقوله .

ـ يا إلهي كم أن بالك مرتاح . هل تدري أنه ليس لسلطاننا

أولاد . هذا يعني أن إخوته من جهة وأبناؤهم من جهة أخرى سيسعون وراء الحكم . هل تعلم ماذا يعني ذلك ؟

ـ لا أعرف . هيا قل لي أنت ماذا يعني ؟

ـ يعني سهام ، يعني أقواس ، يعني سيوف ، يعني دروع ، والأهم أنه يعني تساقط إخوته .

ـ أف ! ألا يوجد منقذ من كل هذا ؟

ـ لا يوجد يا أخي ، لا يوجد .

ـ هناك اختباران ، بل ثلاثة ، أربعة اختبارات جميعها تتضارب مع بعضها بعضاً . إنها كانت مستقرة ، فهي التي سوف تبقى على قيد الحياة .

ـ هل ستتلف البقية إذاً ؟

ـ نعم ، لكن جميعنا يعرف أن هكذا أشياء تحدث منذ تأسيس دولتنا مع الأسف .

وبدأ الصديقان يتبادلان أطراف الحديث حول الشخص الأفضل ليجلس على العرش . فقط هؤلاء ؟! كان ذلك أول أمر يتحدث به كل من يأتي هناك . كان الجميع في وطن السلاجقة يريد سلطاناً قوياً ؛ لأن من معصمه أقوى ، من سهمه أسرع ، من سيفه أكثر حدة ، ستكون كلمته السائدة في هذا العالم .

استمر الحديث على هذا المنوال من الحماس :

ـ من تريد أن يكون السلطان ؟

ـ حسناً ، بالنسبة لي لا يهم . أيهما فيه خير فليكن ، وأنت ؟ اسمع ، دعني اختبرك . أنت صفه من قلبك ، دعني أرى فيما إذا كنت سأتمكن من معرفة بمن تفكر ؟

ـ سيكون هذا عملاً ممتعاً غالباً .

ـ إنه طويل القامة . . . أسمر البشرة . . . وسيم . . . شارباه مسترسلان للأسفل .

ـ ما الجديد في كل ذلك ؟ إنها تصف ما في كل جبابرة السلاجقة .

ـ إنه في عمر الثلاثين . . . لديه نظرة الصقر . . . بطل . . عادل . . . حاكم لإحدى المدن .

ـ أم أنك لا تريد أن يكون حاكمنا ؟

ـ أخذت قليلاً .

ـ هذا يعني أنك جعلتني أتحدث دون جدوى .

ـ ماذا ظننت ؟ ألا أعيش أنا في هذه الدولة ؟ هل تظنني غير مدرك لنهاية الأمر ؟

ـ سيكون واقعاً . فلنصرخ عالياً باسم السلطان الذي في قلوبنا ، فلتسمع حتى الجبال والأحجار .

أنهى الصديقان حديثهما العذب هذا ، واضعين نقطة بصرخاتهما باسم السلطان :

ألب أرسلان !

* * *

كان حال كل الدولة السلجوقية كحال مدينة مرو تعيش أياماً من الحراك . لم يبق من لم يسمع بأن كبير السلاطين السلاجقة حضرة أرطغرل بك ينازع على فراش الموت . لقد تيقن الشعب في وقت قصير أن النزاع حول الحكم سيندلع قريباً .

ولكون أرطغرل بك لم يكن لديه أبناء قد يجعل هذا أحد أبناء إخوته يرغب في أن يكون هو السلطان . ولا يوجد ما هو غريب في ذلك . كما أن أرطغرل بك من يراه مناسباً ليتولى السلطنة كان الآخرون سيقفون ضد هذا القرار .

يقال : العرش مقعد سحري ، لكنه في الواقع لا يفرق عن ارتداء قميص من النار ، وبالرغم من ذلك ، فإن جميع أبناء السلاطين يبذلون جهدهم لارتداء هذا القميص ، وليكونوا أصحاب الاقتدار والقوة اللتان يجلبهما هذا القميص . هذه القوة والاقتدار ليست ليرضوا مشاعرهم فحسب ، بل خلقت في قلب كل سلطان تركي خدمة للإسلام كمثل أعلى .

من كان سيصبح السلطان ؟

بفرحة كبيرة من الشعب تسلم ألب أرسلان العرش . **هل سيستطيع ألب أرسلان ، في الحقيقة أن يرتدي قميصاً من النار ؟**

* * *

كان ألب أرسلان في عمر الثلاثين يجمع كل القوة والوسامة ، من الآن تقول المؤشرات إنه سيكون سلطاناً جيداً . عندما مات أبوه السيد تشاغري يقال إنه أحضره إلى ولاية هوراسان . من قبل كان ألب أرسلان يقوم بمثل هذا النوع من المهام . وقبل أن يقرر في أمر هام جمع وجهاء الدولة وكان يتشاور معهم . ومن بين أولئك وعلى وجه الخصوص كان مستشاره وصاحب القيمة كان يعطي قيمة لآراء مستشاره نظام الملك .

كان هو أكثر شخص مؤهل من أجل الحفاظ على النظام في البلد . معرفته الواسعة وخبرته وذكائه كلها أمور جعلته الأنجح لذلك .

كان ألب أرسلان ونظام الملك يقيمان الوضع على العرش ، قريباً بالتأكيد سيتم إزالة العين الحسودة .

وبعد حديث مطول حول هذا الموضوع مع نظام الملك ، قال ألب أرسلان :

« أستاذي القدير ! في أحد أحاديثنا كنا قد قلنا إن السلاطين يجب أن يستشيروا العلماء في شتى أنواع التدابير ، هل تذكر ذلك ؟ »

ـ بالطبع يا سلطاني ، كما أنني أعطيت مثالاً لكم على ذلك .

ـ نعم ، أستاذي لقد أعطيتم مثالاً على قول حبيبنا الرسول محمد صلى الله عليه وسلم . لم يكن من بين كل الناس أحد عالم بقدره ؛ لأنه كان يعلم بقدر الذين سبقوه والذين أتوا من بعده . كان جبريل عليه السلام دائماً يجلب الوحي ليخبره بما حدث ، وما لم يحدث من أحداث . هذا حال سيدنا المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم ، حتى أنه في الوقت الذي يريد أن يقوم بعمل كان يستشير أصحابه » .

ـ الآن أنا متبعاً سنة حبيبنا النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، لذلك أسألك : هل أليق بأن أكون سلطان السلاجقة ، أم لا أليق بذلك ؟

أجاب نظام الملك دون تفكير : الجميع يقول إنك تليق يا سلطاني .

ـ إذا كنت كذلك ، ماذا يتوجب علي فعله ؟

وبعد برهة قصيرة من التفكير بدأ الحديث الثقيل : في هذه الأيام

كنت أعلم أنك ستسألني هذا السؤال ؛ لأنه لم يبق أحد لم يسمع بالمرض العضال الذي أصاب حضرة أرطغرل بك . منذ الآن لكن عندما يأتي ذلك اليوم المنتظر من يتصرف مبكراً ، فهو صاحب العرش في السلطنة . لذلك فإني أقول. . .

كان ألب أرسلان ، ذو نظرة النسر الثاقبة ، يستمع بحماسة .

تابع نظام الملك حديثه : إنكم تعلمون أن الخليفة القائم بأمر الله يحبكم أكثر من حبه لإخوانكم ؛ لأنه يعرف كم أنتم مرتبطون بالدين الإسلامي . عندما يحين الوقت لن يكون هناك شك ولا ريب في أن أقدم لكم الدعم اللازم لتصبحوا السلطان . في المقابل هناك احتمال أن أشقاءكم سوف يتصرفون ضدكم ، فأنتم عليكم التصرف من قبلهم .

أعتقد أنه من الفائدة لكم أن تتوجهوا الآن مع جندكم إلى مدينة راي .

كما هو الحال دائماً تفكرون بالصواب يا معلمي . إذا أضعنا لحظة من الوقت قد نبتعد عن هدفنا . أخبروا القادة العسكريين التحية وليحضروا . **غداً وقت الحملة على السلطنة** .

* * *

استبدل الحماس الكبير بالانتظار المقلق في مدينة ميرو . فرح الشعب كثيراً لأنهم يرونه لائقاً بعرش سلطنة السلاجقة .

إنهم يعيشون في عصر فيه من كان قوي المعصم والقلب يكسب حرب الحياة . وهاتان الصفتان موجودتان لدى ألب أرسلان ، وعلاوة على ذلك ، فإن عدالته وإذعانه لتعاليم الاسلام جعلت له ميزة أكبر من أولئك المرشحين اللاهثين وراء تولي عرش سلطنة السلاجقة .

مازال هناك حاكم في هذا الزمان يوجد تحت أمره عشرون ألف عسكري . قلوب جميعهم ترتبط بمحبة السلاطين . كلهم يضعون أسلحتهم بأمرهم ويقدمون إلى الامام بحماسة .

الهدف هو مدينة راي ، هو قصر السلاجقة ، هو سلطنة السلاجقة الكبيرة ، تحديداً هو نشر الإسلام في أماكن جديدة كأول خطوة .

كم كانت الأهداف كثيرة ، كم كانت كبيرة ، فلتكن بالمثابرة

والإصرار ، وستكون بالنسبة للخارجين على الطريق قريبة بقدر إطلاق سهم ، وسهلة كشرب رشفة من الماء .

توقف الجيش ؛ لأن القادة العسكريين هكذا أرادوا . من راي أتى خبر جعلهم مجبرين على أن يتصرفوا هكذا . نقل الوزير خبراً من قبل نظام الملك للرجال الموجودين في القصر .

لقد تحسنت صحة السلطان أرطغرل بك .

وبناء على تحسن صحة السلطان أرطغرل فالآن يتوجب أن يدعو لصحته . هذا يعني أن ألب أرسلان لن يتسلم السلطنة بعد . فليكن مؤكداً ، ولا بد أن في ذلك خير .

عاد الجيش إلى الوراء باتجاه مدينة ميرو .

* * *

بقيت صحة أرطغرل بك كما هي ، لكن ذلك الوضع كان وضعاً مؤقتاً ، لكن وعيه على ما يبدو عاد إليه قليلاً . لقد كان واعياً حتى في آخر الأيام التي عاشها ، حتى أنه لم يتوقف عن التفكير في الدولة في مثل تلك الأوقات .

أغلق أرطغرل بك عينيه ، وحوله عدد من الرجال الحاضرين بملامح حزينة ، وبدأ يتذكر بشوق عذب مغامرات عائلة السلاجقة ابتداء بجده سلجوق .

أبدى أولئك المحيطين به ذعرهم وتخوفهم من استرجاع ذكريات الماضي بشكل مطول ، حتى إنه كان من بينهم من يظن أن السلطان يتلفظ أنفاسه الأخيرة ، لكن عندما بدأ أرطغرل بك يداعب الخاتم الذي يرتديه في أصبعه بشكل مستمر ، تنفس من حوله الصعداء مطمئنين أنه مازال على قيد الحياة .

عاد أرطغرل بك للذكريات مرة أخرى :

لقد سقط والده ميكائيل في لحظة شهيداً ، وقد كبر أرطغرل بك

عند جده ؛ حيث ترعرع في وسط عناية كبيرة وتلقى تدريباً وطنياً ودينياً متيناً ؛ إذ كان قادراً على استخدام السلاح بشكل رائع .

لقد هزم الغزنويين في عام ١٠٤٠ في معركة (داندانكان) ثم عاد بفخر إلى همدان ، وكان فخوراً بذلك ؛ لأن هذه الحرب هزمت الغزنويين وتم هدمهموتأسيس دولة السلاجقة رسمياً .

وهو على الطريق ، صادف الأب طاهر أحد الأولياء . فنزل عن الحصان ، وقبَّل يدي هذا الشخص المبارك باحترام .

ثم قال الأب طاهر : « يا تركي ، ماذا تريد أن تفعل لعبيد الله ؟ »

« ماذا تأمرنا أن نفعله . . . » . هكذا أجابه .

فرد الأب طاهر : بالتأكيد ، كما يقول الله في سورة النحل ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾ [٩٠] وقال : « كن عادلاً ! لقد تأثر كثيراً من هذا الكلام . فأجاب والدموع في عينيه : « هكذا سأكون » .

أحبَّ الأب طاهر هذا الرد من السلطان إلى حد كبير ، فأخرج من أصبعه الخاتم ووضعه في أصبع السلطان داعياً له بالخير .

تحسس أرطغرل بك ، خاتم الأب طاهر في أصبعه ، بمنتهى العناية مرة أخرى . كان يعلم أن موعد وفاته اقترب ، ولهذا فإن عليه أن يعمل للدولة الأفضل ، وأن يقوم بتعيين سلطان جيد بدلاً منه ، مع أنه كان يشعر بأن ما فكر فيه سيكون في القريب العاجل ، لكن كان عليه الآن الإفصاح عن قراره .

لم يكن ابنه بل كان عليه أن يختار أحد أبناء أخيه السيد جغري ، لكن أي منهم ؟ ترى أي أبناء أخيه سيعمل بكد واجتهاد مثل أخيه السيد جغري من أجل تأسيس الدولة ؟ لم يدخل مع أخيه بأي نزاع على السلطنة . لقد اتفق الأخوان على الحكم في الدولة معاً . وكلما تقدم الوقت كان السيد جغري يترك الحكم للسيد أرطغرل الذي أصبح مساعداً له بشكل طوعي .

استمر الأمر على هذا الحال بشكل ناجح حتى وفاة السيد جغري عام ١٠٦٠ .

ترى كيف سيكون الأمر الآن ؟

هل سيتمكن أبناء أخيه من إظهار النضج الكافي .

كان أرطغرل بك يعلم جيداً أنه سيتعرض للنقد مهما اختار من أبناء أخيه ؛ لأنه يعرف أبناء أخيه جيداً . فكلهم لديهم عيون شجاعة وجسورة للتصادم من أجل السلطنة .

ولذلك فإن عليه أن يمسك الأمر بسرعة ، وأن يأخذ بكلام شيوخ الدولة حول الشخص الذي سيتولى الحكم من بعده . لقد كان بالفعل يحب جميع أبناء أخيه ، لكن أحدهم ، بخلاف كونه ابن شقيق ، كان ابن زوجته . لقد تزوج ابن الأخ هذا من والدة السيد جغري بعد وفاته .

نعم ، عندما يفوز سليمان ابن زوجة أرطغرل بك فإن الحظ سيضحك له . لقد حدث المتوقع وأعلن أرطغرل بك سليمان وزيراً للعرش ، لكن من أجل السلطنة ، هل سيكون هذا الحظ كافياً ؟ سيكون الجواب على ذلك معلوماً قريباً .

وبعد فترة من الصمت الطويل غرق أولئك الذين ينتظرون بجانب أرطغرل بك في تفكير عميق .

ماذا سيفعلون عندما يحين وقت الموت ؟ خاصة وزير أرطغرل بك عميد الملك الذي شعر بعبء ثقيل يلقى على كتفيه ؛ إذ كان يدعو الله أن يكون قادراً على النهوض من تحت هذا الوضع الصعب ؛ ولأنه سيكون تحت المسؤولية التي ستلقى على كتفيه .

توجه إلى السرير الذي يرقد عليه أرطغرل بك ، انحنى وفحص نفس السلطان ، لم يكن أرطغرل بك أي نفس يخرج من سلطان السلاجقة .

أغمض عيني السلطان المحبوب بيده وأدار وجهه للحاضرين هناك ، فقال : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة : ١٥٦] .

لم يستطع الحاضرون مَنْع دموعهم من النزول والبكاء على السلطان .

* * *

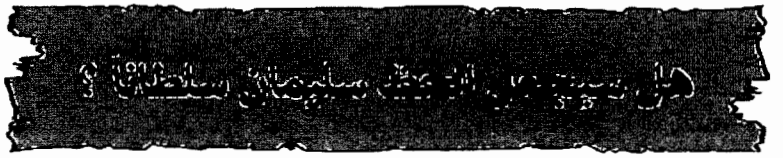

لم تدم أجواء الحداد طويلاً في القصر ، كان بجانب الحداد هناك قلق لدى رجال الدولة حول ما سيحدث الآن . كان الشعب أيضاً لديه نفس الشكوك . كان نفس السؤال يدور في الأذهان : هل يستطيع السلطان سليمان الساعي إلى الحكم ، بمساعدة حظه ، أن يكون سلطاناً بحق ؟

كان عميد الملك يعد وزيراً صاحب رؤية ، لقد كان يعلم متى وكيف يتصرف . ما دام أرطغرل بك اختار سليمان ، كان يجب عليه أن يطيع ذلك على الفور . ففي كل ثانية قد يستغل خصومه الأمر ويستفيدون من الحيل .

كان أول عمل قام به نظام الملك هو توزيع ٧٠٠ ألف دينار ، و١٠ آلاف كرة من القماش الثمين ، وأسلحة جديدة على العسكر .

جاء دور أهم المهمات وهي : إعلان سليمان سلطاناً ! بمساعدة الرجال المخلصين للسيد أرطغرل ، تم تنفيذ هذه المهمة بمراسم أقيمت في القصر ؛ لقد أعلن سليمان سلطاناً . لقد قرأ عميد الملك

خطبة باسم السلطان الجديد ؛ هذا الأمر يعني إدخال السلطنة إلى تركيا وخاصة العالم الإسلامي .

لقد جلس سليمان على عرش السلاجقة ، لكن قلة الخبرة في تحركاته بدت وكأنها علامات على أنه لا يستطيع البقاء على هذا العرش لفترة طويلة .

بدأ رجال الدولة ، بما فيهم عميد الملك ، ينتظرون بقلق بالغ هذه المرة . دعونا نرى ماذا سيكشف الزمان هذه المَرَّة ؟ كيف كانت تلك الحقبة ؟

* * *

خيم الصمت الآن على مملكة السلاجقة ، لكن لم يكن هناك شيء آخر غير الصمت قبل هذه العاصفة .

لقد اعتلى سليمان العرش ، لكن القميص الذي ارتداه من نار بدأ يحرق ظهره بل إنه حتى بدأ يشويه . متى يبدأ في التحرك فإن عيناه لا تستطيع النوم من الانتظار .

دخل سليمان في حال ضجر واستياء . كيف لا يضجر وهو كالغزال المسكين بين صيادين هما : ابن عم أرطغرل بك أرسلان (يابغو كوثامش) من جهة ، وأخوه (ألب أرسلان) من الجهة الأخرى . هو السلطان الحقيقي ، لكن الصيادان كانا قويين ، ولم يكن لديه قوة للوقوف في وجههما أو لكبح جماحهما . كان ألب أرسلان صاحب الشخصية الأكثر جاذبية من بينهما في الواقع ، كان معجباً به . كم رغب الاثنان بأن يحكما الدولة معاً ! كان ألب أرسلان لن يقبل بذلك ؛ لأنه قوي وذكي على حد سواء .

تيقن سليمان أن الخطر عليه أصبح أكثر وضوحاً : أحفاد

السلاجقة ، الباسان وأردم الآخرين ، لم يعترفوا بسلطنة سليمان ، وذهبوا إلى جانب ألب أرسلان وقرأوا خطبة نيابة عنه .

هل يجوز أن يكون هناك سلطانان لدولة واحدة ؟ كان هناك أمر يهدف له ألب أرسلان ونظام الملك معاً في اتباع هذه السياسة . لابد أنهما خططا له معاً . أقنع عميد الملك ـ وهو شخص مهم ـ سليمان بأن يقرأ الخطب باسمه واسم ألب أرسلان معاً من أجل مستقبل الدولة .

في أوقات خلت قام كل من أرطغرل وجغري بذات العمل ، كان الأخوان يتمنيان أن يحكما الدولة معاً ، وكانا يدعوان الله لذلك .

أجرى عميد الملك مناورة أخرى ، فترك قيادة إحدى القلعات إلى قطامش ، كان يريد أن يكون قطامش مسروراً وأن يبقيه خارج الأمر .

أخطىء عميد الملك ، فلم يكن ألب أرسلان بطلاً يكفيه بأن تقرأ الخطبة تحت اسمه ، ولا قطامش قائد يكتفي بقلعة . كان قطامش يعلم جيداً أن المنافس الحقيقي له ليس سليمان بل ألب أرسلان ، مهما كان عمله إلا أنه يحب أن يتقاسم مع ألب أرسلان الغنائم .

السلطنة ليس بعمل يتم الاتفاق عليه ، بل يجب إرتداء السيف ورمي السهم .

كان قطامش يعي جيداً ما هي الأشياء الضرورية التي يجب فعلها بالترتيب . أدرك أن إخراج منافسه الضعيف سليمان ، ومن ثم إعلان السلطنة ، وبذلك يكون التخلص من ألب أرسلان أكثر سهولة .

فلنرى هل سيستطيع قطامش تنفيذ ما يفكر به ؟

* * *

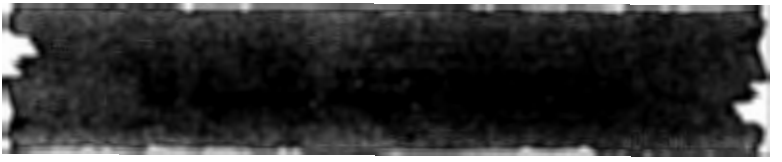

جهزوا أنفسكم ! هذه القلعة ضيقة بالنسبة لنا .

تغلف القادة الذين سمعوا كلمات قطامش بالحماس الكبير ، وبسرعة جمعوا الجيش وجهزوا الجنود . قال قطامش : « السلطنة تليق بنا وليس بسليمان » . ونشر قوله من شخص لآخر ، وهكذا بدأ العسكر ينتظرون الأمر بالهجوم . ومن جهة أخرى أعدت دول كأذربيجان ، أرمينا ، أران ، بلاد فارس ، العراق ، نفسها للحرب لصالح قطامش .

لم يتأخر قطامش في إصدار أمر الهجوم لـ ٥٠ ألف عسكري بهدف أن يصبح : (سلطان السلاطين) . مشى إلى مدينة الري . الهدف أن يقع القصر في قبضته . وعندها سيتم إعلان كوتمش سلطاناً .

لم يعلم سليمان ماذا يفعل لمواجهة هذا الهجوم الأول الجدي ضده تاركاً جميع القرارات لعميد الملك الذي أراحه قليلاً . أخرج الوزير العسكر ضد قطامش ، لكنه عرف أنهم لن ينجحوا في الضربة

الأولى ؛ لأن عدد العسكر لم يكن كافياً .

أَسَر قطامش العسكر الذين كانوا يحرسون القصر ، وأصبحت الغلبة في المعركة له . لم يعرف أصلاً إلى أين ذهب سليمان .

احتمى عميد الملك بإحدى قلعات مدينة الري . كان أول ما فعله هو أن أرسل أحد المقاتلين إلى ألب أرسلان . طلب منه أن يحضر فوراً ويحمي السلطنة من قطامش . كان يعلم أن ألب أرسلان أكثر شخص يليق بالعرش ، لكنه لم يستطع أن يفعل تجاه ذلك أي شيء ؛ لقد كان ينفذ وصية أرطغرل بك التي كانت تريد من عميد الملك أن ينصب سليمان على العرش ، لكن الأمور سارت على غير المراد منها . لقد تركوا سليمان وشأنه ، وقد فرح عميد الملك بهذا الأمر من أعماق قلبه . **كان ألب أرسلان يرغب بأن يصبح سلطان السلاجقة ، وأن يرى السلطنة والدنيا كما يريد .**

لم يتأخر جواب ألب أرسلان لعميد الملك :

« أنا آتي . لا تخرج من الري ! »

* * *

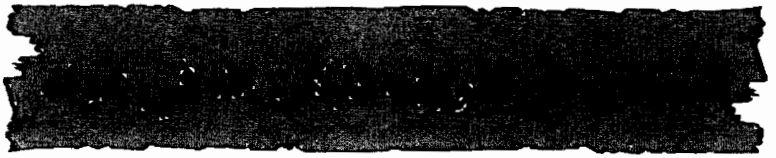

اضطر عميد الملك للانتظار في القلعة التي لجيء إليها برهة من الزمن ؛ لأن ألب أرسلان كان مشغولاً في إزالة العوائق التي ظهرت ولم تكن في الحسبان .

لم يكن صعباً أن يجعل العاصي أمير هتتالان يعرف حده ، لكن سعي عمه الكبير ياغبو للحكم في السلطنة أغضب ألب أرسلان وجعله مضطرا لاستعمال القوة . وبعد صدام استمر لفترة قصيرة انتهت بوقوع عمه المسن ياغبو أسيراً وتفرق جنده .

اغرورقت عينا عم ألب أرسلان بالدموع عندما سمع ذلك الكلام منه :

يا عمي ! تعلم أنك عزيز علي كما يعز علي أبي . تعلم أن قدر العم هو قدر الأب ، ولذلك فإن لكم حرمة لا تنتهي لدي ، لكن عليكم أن تعلموا أنني أليق بأن أكون سلطان السلاجقة أكثر منكم . أنا الذي أستطيع أن أرفع من شأن هذا المقام .

إنني أتبع وأطبق تعاليم ديننا الحنيف بأفضل شكل من أجل تعزيز قدرة دولتنا .

الآن أنت لست أسيراً لدي ، بل ضيفي . أرجو منك أن لا تسعى وراء حكم السلاجقة مجدداً ، وأن تدعو لي وأنا أقف ضد قتلمش .

أثرت كلمات ألب أرسلان هذه عميقاً في جده المسن ياغبو . تعانق العم وابن الأخ بحب ، وسالت دموع السعادة من عينهما . قال ياغبو بمحبة ويقين بما يقول من أعماق قلبه : « **السلطان قادم ، كان الله في عونه !** » .

* * *

حان وقت اتخاذ القرار بحق أكبر المنافسين لألب أرسلان في تحدي السلطة . جمع ألب أرسلان مستشاريه وقادة الجيش واستشارهم في الأمر ، كان الجميع يفكر في نفس القرار . أولاً يجب أن يخرج قتلمش ويجب أن يكون ألب أرسلان في المكان الذي يستحقه وهو عرش السلاجقة .

في القريب لم يكن لدى قتلمش ما يقوله للجنود . كل واحد منهم كان كالنسر ينتظر أن تسنح الفرصة له لمهاجمة فريسته . وهكذا أتت الفرصة ، وفي كل ثانية قد يصدر أمراً آخراً بالهجوم .

وعندما زأر ألب أرسلان قائلاً : « هجوم ! » هَبَّ العسكر كما تهب المهور المجنونة عندما تهتز الأرض .

أدرك قتلمش كبر حجم الخطر المحدق به ، ودون أن يحله فسيكون من الصعب أن يقف ضد ألب أرسلان .

هذا الخطر لم يكن إلا عميد الملك وزير أرطغرل بك . ذلك الرجل المخادع الذي أبرم تحالفاً مع ألب أرسلان ، والآن هو في

قلعة الري . كان لديه القليل من القوة ، فإذا أخرجه من هناك لن يستطيع أن يهرب بل سيكون بين نارين .

بتلك الأفكار هاجم قتلمش قلعة الري . لم يستطع أن يغلب عميد الملك ، وكلما مَرَّ الوقت كان يضعف أكثر وأكثر . من الآن فصاعداً قد يواجه قتلمش ألب أرسلان ، بعد أن اضطر للترحيب بمبعوثي ألب أرسلان قبل الحرب .

من خلال مبعوثيه قال ألب أرسلان لقتلمش :

« كما تعلم أنت مثل أخي ! »

أعلم أنك ترغب بقدر ما أرغب على الأقل أن تصبح سلطان السلاجقة ، بالتأكيد تستطيع أن ترغب في السلطنة ، لكن الرغبة في شيء ، والحصول عليه أمران مختلفان . أوصيك بأن تنسحب وأنْ تترك الظن بأن السلطنة تليق بك . لا أريد أن تنشب بيننا حرب تراق فيها دماء المسلمين ، وخلاف ذلك لست مسؤولاً عما سيحدث » .

ماذا يعني ذلك ؟ مع أي شعب كان يطلب ألب أرسلان ذلك ؟ أبوه أرسلان كان كبير السلاجقة ، إذا كان الأمر هكذا ، فإن السلطنة كانت من حقه . وعلاوة على ذلك ، فإن جنوده كثر ومستعدين للحرب .

إذا كان هكذا ، فكان على ألب أرسلان أن يتخلى عن موضوع

السلطنة . شرح قتلمش للمبعوثين بلغة ملائمة أفكاره . المبعوثون الذين عادوا إلى حيث أتوا خابت آمالهم من جهة ، لكن كان لديهم أمل من جهة أخرى .

لقد تعرفوا على شخصية قتلمش ؛ لم يروا أنه جدير بأن يكون سلطان السلاجقة .

السلطنة بالتأكيد تليق بألب أرسلان .

بعدما أرسل قتلمش المبعوثين ، بدأت التحضيرات للحرب والصدام المتوقع حدوثه بينهما . أصبح الوضع كالمستنقع ؛ حيث المياه المستنزفة ، وهكذا كان قتلمش يريد تقييد حركة جند ألب أرسلان ، محاولاً أن يتم تأخير الحرب لوجود أسباب محقة لذلك .

كان قتلمش يؤمن بوجود أيام تبعث الشر والنحس عليه ، وقد اعتبر ذلك اليوم أحد الأيام الشريرة تلك ، ولكونه يوم شرير كهذا لم يكن يرغب بأن تقع الحرب فيه ، لكن رغبته كانت متأخرة .

ظهر ألب أرسلان وجيشه بكامل عظمتهما في الأفق من بعيد . كان ألب أرسلان يتوسط جيشه بين الجناحين الأيمن والأيسر . القادة الأكثر موثوقية كانوا متواجدين .

غلف الخوف قتلمش ، الذي طمح في مواجهة عظمة جيش ألب أرسلان فوضع في الجناح الأيمن والأيسر إخوته وأبناءه معاً . تشق

هذه الحرب كالتزام للخروج إلى خشبة مسرح التاريخ بسرعة مع كل أرواح الأتراك . الموقف هنا يصعد . لم ير شيئاً سوى عيون العسكر والقادة والنصر .

لم يكن قتلمش مرتاحاً بسبب بدء الحرب في اليوم الذي اعتبره شريراً ، لكنه كان يظن أنه سيستفيد بعد أن يجعل المكان مستنقعاً . لم تكن الأمور كما توقع . المستنقع لم يتمكن من إيقاف جنود ألب أرسلان ؛ لقد هبوا كالنسور في السماء للقضاء على فرائسهم .

انتهت الحرب .

لم يظفر ألب أرسلان بالنصر فحسب ، بل أزال أكبر عائق كان يقف في طريق سلطنة السلاجقة ؛ حيث وقع أخو المنقذ رسول تاكين أسيراً . حاول سحب نفسه إلى قلعة المدينة ، لكن الحصان الداكن الذي كان يركب عليه المنقذ غرق في دمه ، وأصبحت حياته على المحك . في لحظة فكر آلاف المرات دون توقف من أجل الخلاص قبل الوصول إلى القلعة . خرج الدم من فمه متدفقاً .

لكل شخص قدره وبالتأكيد للخيول قدرها . تعب جواده ولم يبق له قوة لبذل المزيد من الخطى . بآخر خطوة تعثر وسقط أرضاً . كأن آخر نفس له لم يلفظ . رحل الحصان الأسود وصاحبه معاً من هذه الدنيا .

حزن ألب أرسلان كثيراً لموت المنقذ ، وبكى كثيراً وجداً عليه .

دفن جسد ذلك المنافس الشجاع في الري بجانب ضريح أرطغرل بك .

* * *

لم يبق من ينافس على الحكم في سلطنة السلاجقة ضد ألب أرسلان .

عقد اجتماعاً مع وجهاء الدولة وشيوخها . انضم الخليفة القائم بأمر الله إلى ذلك الاجتماع . وفي نهاية الاجتماع أعلن ألب أرسلان سلطاناً للسلاجقة .

بلغ ألب أرسلان أربعة وثلاثين عاماً مؤخراً . وعندما كان والياً لمدينة ميرو يحكم أرضاً تبعد حوالي ٥٠٠ ألف كيلومتر عن إقليم خورسان ، وبعد وفاة عمه بسبعة أشهر وعشرين يوماً ، وتحديداً في السابع والعشرين من نيسان عام ١٠٦٤ توج على العرش في حفل مهيب أقيم في قصر أرطغرل بك . أعدت وليمة كبيرة للأمراء والسادة ، ووزعت الهدايا . قرأت في كل زاوية خطبة باسمه وصكت نقود باسمه . ومن الآن فصاعداً هو فقط سلطان السلاجقة .

ارتدى ألب أرسلان قميص الفاتح ، قميصاً من نار حاملاً معه روحه لفتح مواقع جديدة ، بهدف إعلاء شأن الاسلام . كان عليه

أيضاً قبل أن يقوم بهذا الأمر المقدس القيام بأمر آخر قبله . كان عليه اختيار وزير ما بين نظام الملك ، الأقرب له منذ شبابه المبكر والذي كان يستفيد من أفكاره دائماً ، وما بين عميد الملك الذي ساعده مؤخراً . في يوم ما وعندما كان يتحدث فيه مع نظام الملك ، سأله عن رأيه في عميد الملك . لقد فهم الوضع الصعب الذي كان السلطان فيه ، فقال : « سلطاني ! إذا سمحتم لي دعني أروي لكم حكاية في هذا الموضوع ثم تقررون بأنفسكم » .

ـ في كل حكاية ترونها يوجد حكمة ، نعلم ذلك ، هيا اروا علينا الحكاية ولنستمع لكم .

ـ على الرحب والسعة يا سلطاني .

ـ في إحدى الدول كان هناك سلطان ووزيره . وكان ذلك الوزير يضع نفسه مكان ذلك السلطان بعض الأوقات محاولاً القيام بالأعمال غير المخول بها . من جديد في يوم ما أعطى أمراً للقادة دون علم السلطان ، فسأل القادة السلطان حول ذلك الأمر ، فيما إذا كان يطلب منهم تنفيذه أم لا . فمل السلطان من تلك التصرفات واستدعى الوزير ، بعد أن طلب منه إحضار خمسمائة سيف من مخزن السلاح في القصر ثم طلب السلطان من وزيره اختيار أفضل سيف من بين تلك السيوف . أخرج الوزير خمسين سيفاً من تلك

السيوف ، وعندما طلب السلطان اختيار سيوف أفضل مما اختار الوزير ، اختار الوزير سيفين . عندها سأل السلطان :

« من بين الخمسمائة سيف هل هذه هي السيوف الأفضل ؟ »

ـ نعم يا سلطاني هذان السيفان أفضل من غيرهما .

ـ الآن أريدك أن تضع هذين السيفين في غمد سيف واحد .

ـ سلطاني ! يستحيل أن يدخل سيفين في غمد واحد .

وعندما قال ذلك ، أدرك الوزير خطأه ، ولم يعد الوزير يضع نفسه مكان السلطان مجدداً » .

شرح نظام الملك المعنى الذي أراد إيصاله من هذه الحكاية بشكل جميل جداً . في الواقع كان ألب أرسلان يفكر بذات الشيء . فكما أراد هو أن سلطان الدولة الوحيد فنظام الملك أيضاً هو يريد أن يصبح وزير الدولة وهو أمر طبيعي . وبعد هذه الأفكار أخذ ألب أرسلان المنصب من عميد الملك . **أصبح نظام الملك من الآن فصاعداً وزير دولة السلاجقة .**

* * *

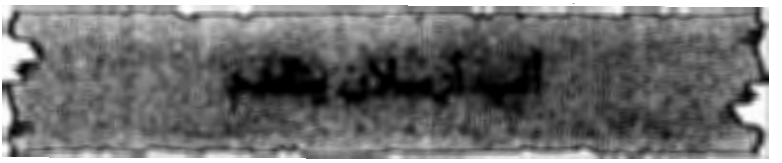

خرج السلطان الكبير في مقدمة الجيش متوجهاً إلى الأناضول . كانت نيته أن يضم تلك الأراضي كاملة إلى مملكة السلاجقة .

وصل السلطان وجيشه إلى مدينة مرند . هناك زار ألب أرسلان ضيفاً مهماً من إحدى القبائل الكبرى ، كان يسافر إلى داخل الأناضول في أغلب الأحيان ، كان ذلك هو الرجل الذي اعتاد على الجهاد السيد التركماني توتكين الذي حضر إلى حضرة ألب أرسلان . أخبر توتكين السلطان ألب أرسلان بمعلومات مهمة عن طرق الأناضول كما أنه رافقه بعدها في حملته .

أصبحت عيون السلاجقة تتجه إلى الأناضول .

فتح ألب أرسلان ، خلال هجرة الأتراك العظيمة ، منطقة « حفرة سورمالي » ، والتي قيل إن قبيلة قايي عاشت فيها لفترة من الزمن ، ويرتبط هذا المنتجع الجميل بإقليم ناخيتشيفان .

ألب أرسلان يتقدم .

كان الدور بعد ذلك على كنيسة مريم نيسين محط زيارة المسيحيين .

كانت حجارة هذه القلعة وحديدها مرصوصات معاً . ينحدر الماء من أطرافها . كان صعباً جداً أن تؤخذ وهي على هذا الحال . طالب نظام الملك بصناعة السفن ، وتحولت الحرب في لحظة إلى حرب بحرية ، سقط الكثير من الشهداء . وبالرغم من أن القلعة كانت صعبة المنال ، إلا أنها سقطت . وبالتوازي لقد وقع حدث سيء وهو أن ابن ألب أرسلان ملكشاه ذا الاثني عشر عاماً سقط في الماء وتعرض لخطر الغرق ، لكن وبسبب سرعة التصرف من الجنود تمكنوا من إخراجه من الماء بنجاح .

تارك السلطان الموقر ونظام الملك ملكشاه في نخجوان متوجهين إلى جورجيا . فتح السلطان هناك الكثير من المدن والقلاع ، وبينما كان السلطان متوجهاً إلى قلعة أهالكلك هو ونظام الملك انضم ملكشاه لهما . لقد فتحوا العديد من المدن والقلاع ؛ إذ جعل هذا النجاح ألب أرسلان يبتهج . كان السلطان يعد ابنه ملكشاه من الآن للسلطنة ، وهكذا أخذ الأب وابنه معاً قلعة أهالكلك .

ألب أرسلان يتقدم .

لقد وصل الدور على قلعة لوري . لم يكن الحصول عليها صعباً ؛ إذ وافق ديفيد ملك لوري على دفع الضريبة للسلاجقة ، كما وافق أيضاً على تزويج ابنته من وزير ألب أرسلان نظام الملك .

ألب أرسلان يتقدم .

مشى السلطان نحو مركز الباغرات « العاني » . كانت أسوار قلعة العاني قوية جداً . وقبل ذلك تم إنشاء سفينة وأبراج خشبية من أجل قلعة العاني . بدأت الحجارة التي وضعت في المنجنيق في تلك القلاع بضرب قلعة العاني . وسرعان ما تم تجاوز الجدران الصعبة وأصبحت قلعة العاني تتبع للسلاجقة .

ألب أرسلان يتقدم .

تقدم ألب أرسلان وفتوحاته باتجاه روما الشرقية بسرعة . لا شيء يستطيع إعاقة تقدمهم ؛ لأنهم كانوا مشغولين بالكفاح والنضال مع البوشناك ضد المزعجين القدماء .

وبعد مرور وقت قصير عاد السلطان إلى الري ، محققاً انتصارات وفتوحات عظيمة أعلم بها الدول الصديقة . قابلت تلك الدول المسلمة أخبار النصر بحماس وفرحة كبيرة .

وقد منح الخليفة لقب أبو الفتح لألب أرسلان .

* * *

بدأ تقدم ألب أرسلان لا يعرف حدوداً يزعج البزنطيين أكثر فأكثر . ماذا يحدث لهؤلاء الأتراك ؟ لماذا لم يبق مكاناً إلا وأخذوه ؟ لماذا يحدقون كالنسور ويزأرون كالأسود وينتشرون كالموج ؟ هل سيأتي الدور عليهم أم لا ؟ كانت هذه الأسئلة كافية ليهرب النوم من عيون البيزنطيين .

وبالرغم من كل ذلك ساعد الحظ البيزنطيين مرة ، كان هناك أمر جديد . تبنى البوشناق الذين لم يكونوا بعد أتراكًا مسلمين ، الصراع على السلطة داخل أنفسهم . تمرد القائد غيغن ، رئيس البوشناق ، على توراك لكنه خسر التحدي الذي قام به . وجد نفسه يلجأ إلى إمبراطورية البيزنطيين للاحتماء من الأمور التي قد تحدث له . وهكذا دعاه للحظ .

لم يكن من الصعب على البيزنطيين ضرب هذا الطائر المحظوظ في رأسه . في الواقع ، كان هو من سهل ضربه بالفعل ، بل إنه ظهر كمن يريد الدخول في القفص .

عقد احتفال كبير لدخول غيغن ومن معه في المسيحية .

لم يكتف البيزنطيون بهذه الأقدار . تكبد تراك وجيشه هزيمة ثقيلة . اختار تراك وكثير من السادة الذين معه المسيحية مثلما فعل غيغن .

نفذ جيوش البوشناق أوامر البيزنطيين لكن القادة والعسكر في الجيش لم يعجبهم ذلك . البوشناق أمة قتالية . لكن مع الأسف أعدادهم ليست كثيرة ، وعلاوة على ذلك ، فقد انتشروا في منطقة جغرافية واسعة . بالرغم من أن امتلاكهم لخزينة ثرية ووجود الخيول والحيوانات لديهم ، إلا أنهم لم يتمكنوا من تأسيس دولة . كذراع للجيش البيزنطي مكون من خمسة عشر ألف شخص فإن اتحاد الفرسان البوشناق على غرار من لا ملاذ لهم خرجوا إلى جورجيا . كان ذلك قدر الجنود ؛ يهرعون من سفر إلى سفر وفي النهاية يموتون .

لا يكون الحظ إلى جانب الانسان دوماً . لقد تخلى الخمسة عشر ألف عسكري التركي الذين ذهبوا إلى جورجيا عن خدمة البيزنطيين ولم يسمحوا للدماء أن تتبعثر في الدمار . بدأت معهم مغامرة كبيرة ومقدسة . ذات صباح في مضيق البسفور كان خمسة عشر ألف فارس سيستشهدون بعد أن تدفقت دماء جروحهم من

تحت المياه إلى الطرف المقابل . اختلطت الخيول مع الأمواج على سطح الماء .

حاولوا الركوب بشجاعة للوصول إلى الطرف المقابل . غرق قسم كبير من العسكر في هذا الطريق ، محاولين العبور إلى الطرف الآخر حتى لو كلفهم ذلك موتهم . الهدف هو نهر الدانوب .

قبل عساكر توراك بسيطرة البيزنطيين . واختاروا لأنفسهم الدانوب كوطن جديد لهم .

لم يعد للبيزنطيين راحة . كأن الالتفاف مع البوشناق لم يعد يكفي .

ومن جهة أخرى خرج الأوز ضدهم . عبر ما يقارب ستمائة ألف شخص الدانوب وأسسوا لهم وطناً في عقر دار البيزنطين .

وبدأ الحظ يسير بشكل معاكس . البيزينطون من جهة ، والبوشناقمن جهة أخرى وبينهما الأوز . كان الخطر الكبير في الطرف الآخر يتقدم نحوهم ؛ إنه : ألب أرسلان !

كانت الإمبراطورية البيزيطنية تشهد خطراً محدقاً ، لذا أرسلوا المبعوثين ومعهم الهدايا المتنوعة إلى ألب أرسلان طامعين في كسب صداقة السلطان .

هل صداقة ألب أرسلان للبيزنطيين ممكنة ؟ **لا روح المحاربين والفرسان ولا الإيمان يعطيه إذناً بذلك . ألم تكن الغاية الكاملة من ذلك نشر الإسلام ؟**

وهكذا لم يتردد السلطان في رد طلب البيزنطيين .

* * *

كأن المياه تجمدت في مملكة السلاجقة . انتهى تحدي السلطنة لولا ظهور استثناء صغير ؛ إنه أخو ألب أرسلان الذي حاول محاولة بسيطة ، لكن عندما لم يلق النجاح لاذ بالفرار إلى إحدى القلعات خوفاً من أخيه . ومن ناحية أخرى لم يكن لدى قاورد الجيش أو السلطة ضد ألب أرسلان . لم يتمكن السلطان العظيم من السلاجقة من تخيل الوقوف أمام هذا الطوفان الجارف لكل من يأتي أمامه . كان أكثر الأعمال ذكاءً من قاورد ، الذي أدرك شدة وقع ما فعله ، هو طلب الأمان من ألب أرسلان . ظهر قاورد في حضرة السلطان وبقي لبرهة دون أن يتفوه بكلمة . كان واضحاً بأنه نادم على فعله من جنون .

ـ الآن استرح قليلاً ! نتحدث لاحقاً . عندما قال ألب أرسلان هذه الكلمات شعر أخوه بالراحة .

قبل أن يبت السلطان في أمر أخيه تحدث معه نظام الملك . قال الوزير العالم : سلطاني هناك أربع جماعات من الناس لا يجب تجاهل خطأها :

أولهم : خائني مملكة السلطان .

ثانيهم : الناظرين بعين السوء لمملكة السلطان .

ثالثهم : غير الحافظين لسر السلطان .

رابعهم : الذين اتخذوا أعداء السلطان أصدقاء لهم .

ـ وبناء على خيانة أخي للمملكة ، فإن. . . .

ـ نعم يا سلطاني ، لكن هذه أول مرة يقترف فيها أخوكم ذنب كهذا . بدلاً من إيقاع عقوبة على ما فعله ، فإنني أرى أن تعفو عنه ، وهذا أكثر عقلانية في الوقت الحالي . هذا ما أراه وأقدره ، يا سلطاني المعظم .

عفا ألب أرسلان عن أخيه ، وأخذ وعداً من أخيه بأنه لن يقدم على فعل كهذا مرة أخرى .

* * *

في عام ١٠٦٥ .

كان ألب أرسلان يسير شؤون الدولة بسرعة كبيرة ، ما جعله لا يستطيع تخصيص وقت لشؤونه الخاصة . لقد أصبح من الآن فصاعداً يتوجب عليه الاهتمام بعائلته عن قرب . كان يفكر بتزويج أبنائه وبنته . يقولون الحسيب كف . يجب على ألب أرسلان أن يختار زوجاً مكافئاً لأولاده وبنته .

أول أمر سيفعله السلطان هو تزويج قرة عينه ووريث العرش ابنه ملكشاه . حتى أن العروس بالفعل كانت قد اختيرت من السلالة الحاكمة في كاراهان الآنسة تيركان . كان في نفس العرس عريس آخر ؛ ألا وهو ابن ألب أرسلان الآخر أرسلان شاه . وكان نصيب هذا العريس ابنة السلطان ابراهيم حاكم غزنة .

أبناء السلطان يتزوجون بنات السلطان !

العروسان الموجودتان في العرس يوجد بجانبهما عريس يتزوج .

ألب أرسلان في هذا العرس العظيم زوج ابنته لابن السلطان ابراهيم حاكم غزنة .

كان العرس فعلاً مهيباً . امتن العرائس والعرسان لدى رؤيتها الهدايا . تمتع الضيوف بالوليمة المهيبة على الموائد . كان هناك أثر لبن العصفور على تلك الموائد . الحقول والضفائر ، اللتين تكشفان أكثر الألحان جمالاً في أيدي الشعراء ، تعلوها الطعم الرفيع للأتراك من الأزمنة الماضية .

يتصارع المصارعون في السهول ، والخيول تتسابق . مهارات الجبابرة وهم يلعبون بالرماح على الفرس تجعل الدماء تتحرك . كان الفتيان والفتيات المتسللون من بعيد ينظرون ويتمنون أن يكونوا مكان العرائس والعرسان .

يعد هذا العرس الثلاثي عملاً خاصاً للسلطان . في كل خطوة كان يقدم عليها لم يكن سوى شغف للقرارات السليمة التي اتخذت من أجل مستقبل الدولة . كان الوزير نظام الملك يقف في الخطة الخلفية للقرارات المهمة . **كان ألب أرسلان يستشيره في كل موضوع** . كلما مر الزمان كان يفهم كم أن القرارات التي كان يتخذها كانت صائبة بل إنها الأكثر صواباً .

* * *

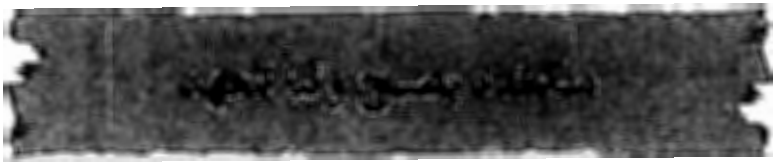

ستبقى هذه الأعراس المهيبة المقامة في شهر أيلول عام ١٠٦٥ سيرة على كل لسان لسنوات عديدة . حتى عندما كان يزوج أبناءه كان ألب أرسلان يفكر بمستقبل دولة السلاجقة في إنشاء علاقات صداقة مع الدول المجاورة .

كان كل من ألب أرسلان ونظام الملك يعلمان جيداً أن التحديات التي كانت تواجه السلطنة لن تنتهي أبداً في أي وقت . كان السلطان الموقر متأكداً من قدرته على تولي العرش ، لكن لم يكن متأكداً ممن سيقبله من بعده . ومن هذه الزاوية أراد أن يجعل أحد أبنائه ولياً للعهد ، كان يهدف لمنع الحروب أو النزاعات التي قد تنشأ بين أبنائه في المستقبل . لم يكن ألب أرسلان متردداً في حل الأمر ، سيعلن الاسم الذي يرى قلبه أنه الأكثر صواباً ولياً للعهد ؛ لذلك أمر بإعداد مأدبة كبيرة .

حضر السادة والقادة وشيوخ الدولة تلك المأدبة . لم يكن هناك مكان فارغ . وعندما انتهى جميع الحاضرين من الأكل وشبعوا ، وقف السلطان على قدميه وبدأ الكلام .

السادة السلاجقة الموقرين جداً ، القادة الشجعان :

لقد بذلنا الكفاح الكبير من أجل إعلاء شأن دولتنا لتصل إلى ما هي عليه ، لقد فقدنا الكثير من الأرواح وأصبح الأبناء من ذات الأم والأب أعداء لبعضهم بعضاً من أجل ذلك ، لكننا عبرنا تلك الفترات بمشيئة الله ودعم شجاعتكم . والآن ننظر جميعاً إلى المستقبل معاً ، وبما أنني سلطان دولة السلاجقة فأنا لا أتوقع أن الجميع لن سيصمت ولن يقف في وجهي متحدياً للحصول على السلطنة . إنكم تعلمون كيف تكون نهاية أي شخص سيقدم على اقتراف خطأ كهذا .

قوبل كلام ألب أرسلان هذا من قبل المدعوين بابتسامة . هم كانوا يعلمون أنه لن يجرؤ أحد على الوقوف بوجه السلطان . تابع ألب أرسلان كلامه : أنا متأكد من نفسي ، لكنني . . . » .

كان أمراً معلوماً إلى أين سيذهب في كلامه ، وهكذا أتى وقت آخر وتكلم ألب أرسلان :

« لست متأكداً من الذي سيأتي من بعدي ، ولذلك لقد فكرت كثيراً ، وبقيت سهراناً ليالي أفكر ولا أنام . لقد اخترت ولي عهدي الذي سيتسلم زمام الأمور في الدولة من بعدي .

ما أريده منكم أن تتحدوا كالعصبة حول السلطان الجديد الذي

سيتولى الحكم من بعدي من أجل مستقبل دولتنا .

وعندما بلغ الانفعال حده ، بدأت العيون تسجل بنظراتها أبناء السلطان . الجميع كان ينتظر بفضول كبير ما هو الاسم الذي سيعلن . قال السلطان آخر كلامه :

« سلطانكم الذي سيأتي بعدي هو ملكشاه ! »

بدت على المجتمعين على مأدبة الطعام بهجة كبيرة عمت المكان . كان ملكشاه يستحق هذا المديح .

شعر ألب أرسلان بأنه طير خفيف الوزن بعد أن أعلن الاسم وارتاح .

حان وقت مراسم التنصيب .

أركب ملكشاه على فرس لغايات مراسم التنصيب . أمسك ألب أرسلان شخصياً بلجام الحصان .

طلب ألب أرسلان من جميع الأمراء الحاضرين لمراسم التنصيب ارتداء ملابس خاصة كرمز على إطاعتهم جميعهم لملكشاه . لقد وعدوا بأنهم سيكونون مخلصين لملكشاه .

وبدأت الخطب تقرأ باسم ألب أرسلان وملكشاه معاً .

كان حدثاً مهماً أن يعلن ملكشاه ولياً للعهد بحفل ضخم كهذا .

ولكي لا يقع ألب أرسلان في نفس الخطأ الذي وقع فيه عمه أرطغرل بك ، عين ولي عهده وهو مازال بصحته ، بل في قمة قوته . وقد حظي بدعم جميع قادته وأمرائه في هذا القرار .

أعلن ملكشاه ولياً للعهد ، لكن العمل لم ينته بعد .

كان ينبغي عليه أن يطيب خاطر الأبناء الآخرين . لذلك ، منح ألب أرسلان لكل ابن حكم إحدى المناطق المختلفة .

لم يعد ألب أرسلان وحيدًا في مسيرة السلاجقة العظيمة .

لقد أخذ أبناؤه أيضاً أماكنهم في تلك المسيرة .

* * *

لم يكن ألب أرسلان ليقف في مكانه . كأنه كان مرتاحاً جداً ؛ حيث عاد مرة أخرى إلى شن حملة جديدة .

كان أول عمل قام به السلطان هو التحرك نحو الأتراك الذين لم يسلموا بعد والمتحدين مع القبائل التي تنهب المدن . تركت تلك المجموعات الناهبة عائلاتهم وممتلكاتهم وأموالهم ، وخوفاً من السلطان ألب أرسلان أجبروا على الفرار واللجوء نواحي بحر هازار .

كأن الفوضى توقفت مرة أخرى . رغب السلطان بالاستفادة من هذه الفرصة وزيارة قبر مؤسس الدولة الجد الأكبر ، وبغية ذلك ؛ ذهب حتى أطراف سير داريا « نهر سيحون » .

ولدى زيارة ألب أرسلان قبر جده كانت تتملكه مشاعر محايدة ، وبآذان صاغية أنصت المصطفون على الجوانب لحديث السلطان :

« جدي الموقر ،

إن مملكة السلاجقة التي أسستموها بمشيئة الله وجهودكم

العظيمة ، أصبحت السلطة فيها من نصيبي . ولذلك ، فإنني مهما شكرت البارىء فإنه حقًا قليل .

لقد ناضلت كثيراً من أجل صالح السلطنة وخضت معارك كثيرة . وأنت تعلم أن السَّاعين للحكم في السلطنة كثر ، ولكنني بمشيئة الله تغلبت عليهم كلهم . وبالرغم من ذلك ، فإنني أعلم أنه ما زال هناك ساعون وراء ملك السلطنة . يمكنك أن تتقين بأنه عندما يحين الوقت المناسب سأحسابهم على ذلك .

من أجل إعلاء دولتنا وديننا ، فإنني بدأت السير إلى الأناضول خطوة خطوة ، وهكذا إمبراطورية البيزنطيين الضخمة ، وبسبب خوفها ، بدأت السعي نحو إبرام صلح معنا .

جدي الحبيب ،

أعدك بأنني سأواصل السفر إلى الأناضول حتى تصبح تركية تماما ، وإنني أثق بعون البارىء أولاً ، ومن ثم روح المحارب فيك في هذا الأمر .

أنا أتضرع بالدعاء لك من صميم قلبي .

رضي الله عنك وعن كل فرساننا !

* * *

لدى مغادرة ألب أرسلان لضريح جده الأكبر تملكته مشاعر مختلطة ؛ إذ شعر بالراحة من جهة ، وبمسؤولية كبيرة على عاتقه من جهة أخرى . عليه العمل كثيراً ليكون حفيداً يفخر به جده .

ويتجدد بداخله عشقه لخدمة بلده ، عاد ألب أرسلان إلى ميرو .

أمضى عيد الفطر في نيشابور . هناك استقبل السفراء القادمين لزيارته ، وقدمت لجميع الزائرين ولائم عظيمة . وفي وجودهم اعتلى ابنه ملكشاه عرشاً صنع من الذهب . أعلن ملكشاه مرة أخرى ليكون السلطان من بعده .

كان ألب أرسلان يستفيد من كل فرصة . وكي لا يحدث الشجار على السلطنة من بعده كان يظهر جهداً كبيراً . وكان الداعم الأكبر له في هذا الأمر وزيره نظام الملك . كان الوزير الأكبر يروي الحكايات في وجود السلطان ، مشيراً فيها إلى الخطوات التي يجب أن تتخذ لحماية وحدة المملكة . كان السلطان يستمع لكلام وزيره بأذن صاغية .

وفي كل حكاية كان يؤيده ويعطيه الحق . وفي إحدى المرات روى نظام الملك الحكاية التالية : « عندما اقتربت وقت وفاة عمر عليه السلام ، سأله ابنه قائلاً : يا أبي الحبيب أطال الله بعمرك ، إذا حان وقت موتك ، هل أستطيع أن آراك بعيني مرة أخرى في الدنيا ؟

ـ لا ، لكن تستطيع رؤيتي في الدنيا .

ـ لكنني أريد أن آراك قبل ذلك .

ـ تستطيع أن تراني في حلمك في اليوم الثاني أو الثالث بعد مغادرتي الدنيا إذا أراد الله .

آن الآوان وغادر عمر عليه السلام الحياة الدنيا . انتظر ابنه متأملاً أن يراه في حلمه . واستمر هذا الانتظار ليس يومين أو ثلاثة ، بل سنوات . لكن في ذلك الزمان استطاع ابنه أن يرى والده في حلمه : أبي الحبيب قلت لي إني سأراك في حلمي بعد ليليتن أو ثلاث . لماذا تأخرت إلى هذا الحد عن الظهور في حلمي .

عمر عليه السلام : يا بني ! اعلم أنني لغاية الآن كنت في وضع صعب ؛ بجوار بغداد كان هناك جسر ، ولقد دمر هذا الجسر ؛ بسبب إهمال المسؤولين عن الجسر الذين لم يعمروه . وفي أحد الأيام عبر راعي بخرافه من الجسر . فدخلت القدم الأمامية لأحد الخراف في حفرة فكسرت . وهكذا منذ ذلك الزمان كنت مشغولاً

من أن ألقى الحساب على قدم الشاه التي كسرت » .

بدأ قلب ألب أرسلان يخفق بقوة وانفعال من ثقل هذه الحكاية .

ـ نحن لا نستطيع أن نكون عمر عليه السلام ، لكننا إذا لم نسر على طريقه ، فإن السلطنة ستكون نار علينا . بعون الله ودعمك إن شاء الله سنعمل جاهدين للنهوض من تحت هذا الحمل الثقيل .

كانت هذه إحدى الحكايات المؤثرة بعمق في سلطان السلاجقة : أرسل الله موسى عليه السلام ومعه العديد من المعجزات إلى فرعون .

كل يوم كان يوجد على مأدبة فرعون أطعمة محضرة من أربعة آلاف خاروف ، وأربع مئة بقرة ، ومئات من الدجاج . كل يوم يملىء كل الشعب المصري والجيش المصري بطونهم من هذه المائدة . بدأ فرعون المتغطرس يرى نفسه كأنه الله مع تلك الموائد التي يقدمها . توسل موسى عليه السلام لله أن يهلك فرعون عندما لم يؤمن بالله .

وقد شرح القرآن الكريم هذا الأمر بقوله تعالى :

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ [يونس : ٨٨] .

قبل الله تعالى دعاء موسى عليه السلام ، بقوله تعالى : ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس : ٨٩] .

وهكذا مرت سنوات على قوله تعالى هذا ، تابع فرعون قراءة ما يعرف . السبب في أن الله لم يسرع في هلاكه ، مع أنه كان ظالماً ، أنه كان يقدم الولائم للمصريين كل يوم . لكن في الوقت الذي تخلى فرعون عن هذه العادة ، أهلكه الله تعالى وقتها .

كان ألب أرسلان أصلاً عالماً بمعظم ما سمعه وكان مطبقاً لذلك . كان يقدر العلم والعلماء كثيراً . كان يعي قول لقمان الحكيم : « **لا يوجد في الدنيا لي مساعد أفضل من العلم . العلم أفضل من الخزينة ؛ لأنك مجبور على حماية الخزينة ، أما العلم فإنه هو الذي يحميك** » .

وبهدف ذلك أسس مدرسة نظامية في بغداد ، بمساعدة وزيره نظام الملك ، عن طريق المؤسسات الوقفية المنشأة . وتمكنت هذه المدرسة من تقديم التعليم مجاناً ، كما أن الرواتب فيها قدمت للمعلمين والطلبة على حد سواء .

أمثال كل من العلماء الكبار : أبو اسحاق الشيرازي ، والإمام الغزالي ، وأبو بكر الشاسي كانوا من بين معلمي هذه المدرسة .

كانت المدرسة النظامية ذات مكانة مهمة في العالم الإسلامي من ناحية إيلاء التعليم والتعلم أهمية وعناية . ما كان فوضوياً سابقاً مثل وجود فعاليات تعليم يقوم بها معلمون خصوصيون تم شبكها ببرنامج ، وبدىء العمل به تحت رعاية الدولة . وبالإضافة إلى العلوم الإسلامية كان لعلوم مثل الفلسفة والمنطق والرياضيات مكاناً في هذه المدرسة . وكنتيجة شهدت فروع علمية كالطب والصيدلة تطوراً كبيراً .

وفي مراغة أسس مرصد فلكي من قبل نور الدين الطوسي . وفي هذا المرصد اجتمع الكثير من رجال العلم .

وقد أسمعت أعمال هؤلاء العلماء ودراستهم العالم أجمع باسم المرصد الفلكي .

كان الجميع يحكي عن كرم ألب أرسلان . ففي القصر كان يوجد تكية ؛ حيث يذبح فيها خمسون خاروفاً ويطبخ الأكل ويوزع على الفقراء .

وفي وقت قصير عمت المساجد والجوامع والمستشفيات والجسور وقنوات الماء ومواقع الشرطة في مدن تركمانستان وخراسان وخوارزم وكيرمان وإيران وأفغانستان والعراق وسوريا والروم (الأناضول) .

يستمع في فترات معينة للشعر من أولئك الشعراء الذين كانوا تحت حمايته .

كان مرتبطاً بالدين والجهاد بدرجة قوية ، وبالرغم من ذلك كان لديه طيبة وتسامح مع الأديان الأخرى .

كان يواصل خدمته للسلاجقة يوماً بعد يوم ، حتى اعتلى العرش وحبه في قلوب شعبه بأكمله .

* * *

لا يشبع أخو ألب أرسلان من المصارعة كالمصارع المهزوم . يبدو أن قاورد لن يكف عن تحدي السلطنة . ذات مرة تحدى أخاه ، ولجيء إلى إحدى القلاع لحماية نفسه بصعوبة . ودون أن ينتظر عفا ألب أرسلان عنه واحتضنه وتعانق الأخوان .

هل يفترض أن يقابل صفح ألب أرسلان عن أخيه ومعاملته إياه بحنان الوالد بمواجهة جديدة ؟ ماذا عسانا فاعلين إذا حدثت في الحياة أشياء كهذه . لقد قال مفكر السلاطين نظام الملك سابقاً : « علينا أن نكون متيقظين دائماً تجاه هذه المفاجأت السيئة » . لقد تمرد قاورد على أخيه الأكبر مرة ثانية ، لكنه لم يكن وحده هذه المرة ، بل كان يقف معه صهره البسان هذه المرة . منذ ذلك الحين يشك في صهره لذلك جلب زوج أخته من بيته وأحضره ليمثل أمامه . أثبت البسان أنه لا يقف خلف التمرد الذي حدث ضد السلطان .

كان ألب أرسلان يعلم أن المتمردين لن يقوموا بأي عمل . لهذا

أوكل مهمة قمع العصيان إلى عطا بيك تشافلي ؛ أحد القادة البارزين .

كانت نتيجة عملهم كما توقعوا ؛ إذ لجيء المتمردون إلى إحدى القلاع كملاذ لهم وألحقوا بالهزيمة .

ماذا عسى سلطان السلاجقة فاعل ؟ بماذا سيحكم على أخيه وهو ينفذ للمرة الثانية محاولة للتمرد ضده شخصياً . وبعد أن استشار السلطان وزيره نظام الملك في هذا الأمر ، قال نظام الملك : سلطاني لقد عفيتم عن أخيكم ، ولكنه كرر ذات الخطأ وبناء على ذلك . . . . .

ـ نعم وبناء على تكراره لذات الخطأ . . . . .

ـ القرار لكم يا سلطاننا لكن . . .

ـ قل يا وزيري ! قل ما تريد أن تقله ، أنت تعلم أننا نكن الاحترام لما تقوله .

ـ فليمد الله سلطاننا بالعمر الطويل ، إذا أردتم تكلموا مرة أخرى وجهاً لوجه مع إخوانكم .

ـ تقول الصواب يا وزيري . نعم ! تقول الصواب . لكن ليس اليوم ، فليأتوا غداً لعندي ؛ لأنني الآن غاضب جداً ، وقد اتخذ قراراً خاطئاً .

وفي اليوم التالي مثل قاورد في حضرة ألب أرسلان .

تفرس الأخوان بعضهما بعضاً برهة من الزمن .

وبقدر ما كان السلطان في مكانة عالية ، كان قاورد في وضع يرثى له . كان هذا الوضع الرديء للمتمرد .

بدأ ألب أرسلان الكلام واضعاً يده على كتف أخيه فقال : قل لي يا أخي . لماذا اقترفت ذات الخطأ مرتين ؟

ـ أخي ألب أرسلان !

ـ أخي ؟

ـ لا أريد أن أناديك بسلطاني .

ـ لماذا ؟ ألا تقبلني كسلطان ؟

ـ بلساني أقبل لكن بقلبي لا أقبل ! قد أكون في مكانك ، بل إنني يجب إن أكون .

ـ وبناء على عدم كونك مكاني ، هل لا تفهم عدم جدوى استمرار الشجار ؟

ـ قلت سابقاً من جهة أفهم ، ومن جهة أخرى أتمرد .

ـ ليتنا نفعل كما فعل والدنا جغري بك مع عمنا السيد أرطغرل بك .

ـ تعني أن تكون أنت السلطان وأنا والي على مدينة صغيرة :

ليس والي فحسب ، بل ستكون بجانبي في الأيام العصيبة ، نسير الدولة ونعلي شأنها معاً .

. . . . .

ـ ماذا تقول وهل قدمتم شيئاً لن يكون ؟

ـ القرار قرار أخي الأكبر .

ـ نعم هكذا لك هذا القول يكون .

ـ أريد أمان الروح فقط .

روحك هي روحي ما يصيبك لك يعني أنه أصابني . وأنا فقط أريد منك طلباً واحداً . . . .

وقف قاورد . ترى ماذا ممكن أن يكون طلب ألب أرسلان ؟

ـ أنا أيضاً أريد منك أمان الروح !

ـ لا تضحكني يا أخي ، كيف لي أنا أن أحقق لك أمان الروح ؟

ـ لا أريد من الآخرين ، بل أريد منك أن أكون مطمئناً .

أعدك بأنني أعرف روحك كما أعرف روحي ما سأعيشه من عمر .

عفا ألب أرسلان مرة أخرى عن أخيه . تعانق الأخوان مرة أخرى .

لم يندهش قاورد عندما وجد أن كل خطوة قام بها كانت تتبع في الأيام القادمة . كان يجب أن يفكر « حتى لو كنت أنا سأفعل الشيء نفسه » . حكم قاورد في كل من فارس وكرمان لمدة اثنين وثلاثين عاماً . وهكذا ، تمكن ألب أرسلان من تجنب إراقة الدماء خارج إطار حروبه وحماية من لجؤوا إليه .

* * *

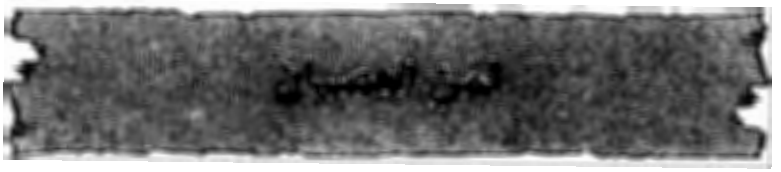

كان ألب أرسلان يظن أنه نظف كل الدوائر المحيطه به من الأسرى ، وأنه يستطيع من الآن فصاعداً أن يكون مرتاحاً لكن ظنه كان خاطئاً . على الإنسان أن لا يعظم الحرص داخله ما دام هناك من يريد أن يرتدي قميص النار ، وأن ينزل ألب أرسلان من على العرش ، أصحاب القلوب المشتعلة بالنار الحارقة ، كان شيراز مليكي أحدهم . كان قائد العار هذا يؤمن من قلبه بتمرده . في يوم ما جمع أكثر القادة شراً في القبيلة :

قادتي ! نحن المحاربون ذو القلوب الأكثر شجاعة في القبيلة . ولماذا لم تكن سلطنة سلجوق في حوزتنا لماذا تكون في يد ألب أرسلان المعجب بنفسه » .

قال أحد القادة : بالطبع تقول الصواب . . . ألب أرسلان أعجب بنفسه ، لكنه ماكر . أنظر ، كان قادراً على الفوز على الخصوم واحداً تلو الآخر .

ـ هل تتوقع أن يضربوننا ؟

ـ لا ، نحن لا نعطي فرصة لشيء من هذا القبيل .

ـ إذاً هكذا . . .

ـ إذاً القرار لكم .

ـ إذاً القرار لي ، قولوا لعساكركم غداً هو وقت الهجوم على ألب أرسلان .

ـ عشت ! كن !

شعر بشعور ثقة وبالتأكيد شعور مهم . لكن الإنسان الساعي لحكم مملكة ، بسرعة ، عليه قبل كل شيء أن يكون واقعياً . وهكذا لم يأخذ ألب أرسلان هذا الهجوم الذي يؤسف له من هذا الرجل بشكل جدي . ولذلك بدلاً من أن يقوم بقمع العصيان أرسل تأييداً إلى عطا بك تشافلي فازليا وقبيلته المتمردة . بالفعل بعد أن اجتمعوا تذكروا الحقيقة المريرة ، وهي أصوات الأسهم والسيوف الثائرة .

جعل ألب أرسلان عطا بك تشافلي والياً على تلك المنطقة . نفذ تشافلي هنا الكثير من فعاليات الإعمار ؛ حيث أمر بإقامة المساجد ، ومد تمديدات المياه والطرق ، **لأن جميع القادة المحنكين أخبروه بالانتصارات التي حققت بالسيف ، وتوجت بانتصارات القلوب وحققت خدمة جيدة للشعب .**

وبسبب سياسة السلطان ألب أرسلان العقلانية تلك وبجهد والي مثل عطابك تشافلي وضعت بصمة الأتراك في كل الأناضول .

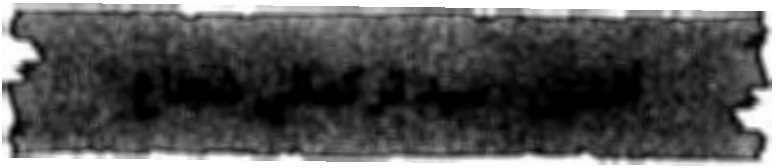

كان نظام الملك وزير أرطغرل بك قد مات منذ عدة سنوات . لكن أولئك الذين كانوا مرتبطين به مازالوا أحياء . أرادت تلك المجموعة إنزال ألب أرسلان من على العرش وتنصيب واحد منهم بدلاً منه . كان قوموشتكين من بين هؤلاء .

عرف قوموشتكين أنه لا يستطيع الوصول إلى هدفه وحده ؛ لهذا ، عقد اجتماعاً مع القادة التركمان ، الذين كانوا يمتلكون روح المكر والتمرد مثلما كان يملك هو . وقد عقد هذا الاجتماع في خيمة قوموشتكين . رحب قوموشتكين بالضيوف مقدماً لهم مأدبة كبيرة ، وبعد تناول الطعام بدأ الكلام قائلاً :

باسل البواسل أخي أحمد شاه ، وبطل الأبطال أخي أفشين !

ما سأقوله ليس مهماً لكما فقط ، بل إنه مهم لمستقبل الدولة أيضاً .

بدأ الفضول لدى الضيوف .

واصل قوموشتكين حديثه :

ما سأقول هو أن ألب أرسلان يجلس على كرسي لا يستحقه . نحن المالك الحقيقي لهذا الكرسي .

لم يتحمل أفشين ذلك ، فقال :

« أخي قوموشتكين على حق . هذا الكرسي من حقنا . ولكن بما أن من سيجلس على الكرسي سيكون سلطاناً واحداً فقط ، فلمن ستكون السلطنة من بيننا ؟ دعونا نعرف الإجابة عن هذا السؤال أولاً » .

أيد أحمد شاه أفشين .

ـ من سيجلس على الكرسي عند الإطاحة بألب أرسلان ؟ أم أننا سنصنع ثلاثة كراسي لثلاثتنا ؟

عمَّ صدى ضحك الشجعان الثلاثة موقع الوليمة . قال قوموشتكين أنه ليس له رغبة في السلطنة ، وقال : هذه المسألة تحل عندما يحين الوقت . فليطاح بألب أرسلان أولاً ، والبقية سيكون من السهل . . .

قرر التحالف الثلاثي التعاون والتحرك معاً في جميع الحالات .

أولاً سيوحدون قواتهم ، وسيسافرون معاً . عندما يصبحون أقوى سيصلون إلى ألب أرسلان .

سيطر هذا الثلاثي على سهل حران وأصبحوا الآمر الناهي فيه . لاقى هؤلاء القادة ألب أرسلان بالقرب من أديامان عندما هزموا

القوات البيزنطية ووصلوا إلى وضع هام . ومع ذلك لم يفت الأوان للقتال من أجل القيادة ضد بعضهم بعضاً . أنقذ أفشين قوموشتكين من أيدي التركمان . كان أفشين شجاعاً جسوراً ذكياً جداً . أدرك أنه بغض النظر عن مدى قوته ، فإنه لا يستطيع التعامل مع ألب أرسلان . لذا ، قرر الذهاب إلى أقصى حد ممكن بعيداً عن السلطان . توجه إلى الجنوب بهدف وضع يده على أنطاكية وما في جوارها .

وبينما كان يستريح في خيمته ، علم بأن أحد الحراس يطلب الدخول إلى الخيمة ، فقام من موضعه وأمر الحارس بأن يدخل .

قال الحارس بنبرة صوت منفعلة جداً : سيدي أفشين ، لقد وصل مبعوث من ألب أرسلان . ويتمنى أن تقبلوا بأن يقابل حضرتكم . . .

انتقل الانفعال إلى أفشين . سلطان السلاجقة العظيم يرسل مبعوثاً إليه وهو مجرد رجل التركمان . كما أن أفشين لم يكن يظن أبداً بقدوم الخير منه . . .

« خيراً إن شاء الله » قال أفشين ، وأصدر أمره : « لا تجعلوا المبعوث ينتظر ! »

وعندما دخل مبعوث ألب أرسلان إلى عنده ، تصرف أفشين كأنه

التقى السلطان ، وليس مبعوثه . أرشده على الفور إلى أين يجلس ، وأمر بإعداد مأدبة طعام له . قال المبعوث بعد أن شبع واستراح : يوجد لكم رسالة من سلطاننا ألب أرسلان . أخرج الرسالة من صدره وأعطاها إلى السيد أفشين .

فتح أفشين الرسالة بسرعة كبيرة ، وبدأ بقرائتها . كلما قرأ المزيد منها اختلف لون وجهه وتسارعت دقات قلبه .

كان الجميع في الخيمة يحاولون فهم هذا التغيير على أفشين .

عندما انتهى أفشين من الرسالة ، طواها باحترام ووضعها في صدره . وقال للمبعوث :

اذهب إلى هناك ، أنقل سلامي إلى ألب أرسلان . من الآن فصاعداً سلطانكم هو أيضاً سلطاني .

وبعد مغادرة المبعوث أعطى أفشين الرسالة إلى أحد السادة الموجودين ، وطلب منه أن يقرأها بصوت عال في حضور الرجال الذين دعاهم إلى خيمته . هذا ما كتبه ألب أرسلان في رسالته :

أخي السيد أفشين !

أعلم أنكم رجل تركماني شجاع لقد أصبتم في العديد من الحملات التي قمتم بها ، ولذلك فإنني بدأت رسالتي بكلمة أخي ، أخي الشجاع : لقد تلقيت خبر وضع يدكم على جنوب الأناضول

وكيف استطعتم وعسكركم تفريق عسكر البيزينطيين . ما أريده منكم أن نتحرك معاً ضد البيزنطيين .

بدلاً من أن نتشاجر ضد بعضنا بعضاً فلنحارب عدونا المشترك . كن يدي وذراعي في التقدم الذي سأقبل عليه ، وأنا سأكون لك داعم على جميع الأصعدة . أليس كلانا من نفس السلالة ؟ وكلانا يحارب من أجل إعلاء شأن ديننا الحنيف ؟ وهكذا نحن نتسابق للوحدة وليس التفرقة . للصداقة وليس العداوة .

كن أخي ولنحلق معاً كالنسور ، فلأكن أخاك الأكبر . ولنزأر معاً كالأسود عليك سلام الله ، ولتكن وجهونا ضاحكة معاً .

لم يستطيع السيد أفشين ـ والرسالة تقرأ ـ منع دموعه من النزول . أصبح أفشين يعرف كم أن السلطان رجل دولة كبيرة الآن أكثر من قبل .

لم ينهي قبول طلب الأخوة هذا أفشين من غضبه من السلطان فحسب ، بل إنه أصبح أخيه حقاً .

أليس هدف الإثنين وصول نور الإسلام لجميع أركان الأناضول ؟

هل ممكن أن يكون هناك شيء أجمل من أن يتحرك ويتحد جميع الأتراك في هذا الطريق ؟

* * *

كان أفشين مع عساكره معاً يتجاوزون كل العقبات التي ظهرت أمامهم . باسم ألب أرسلان يتحركون كالفيضان الذي يحمل كل ما حوله بل لا يبقى في مكان .

كان يفوز بسرعة بتتريك الأناضول .

بدأ البيزنطيون يشعرون بعدم الأمان ؛ فمن جهة النزاعات الداخلية حول العرش ، ومن جهة أخرى الأوز والبوشناق المحيطين لا يكفون عن تشكيل خطر ، والآن أفشين خرج لمواجهتهم . وعلاوة على كل هذه الأمور ، فإن العدو الحقيقي هو ألب أرسلان ، يتجول كالنسر فوق التلال وينتظر فرصة مناسبة لتنفيذ الاجتياح . من ناحية أخرى ، كان ألب أرسلان مشغولاً بإزالة المتمردين ، وهكذا أصبح أفشين الشجاع ذو الهيبة ، الرجل الأول عند السلطان والذي رفع رأس إلى السلطان عالياً .

كان على البيزنطيين أن يكونوا حذرين للغاية في مواجهة هذه التهديدات المحيطة بهم من كل حدب وصوب . وعلى الرغم من كل

التدابير التي اتخذوها إلا أنهم هزموا من قبل أفشين في الجنوب . كيف كان من الممكن إيقاف هؤلاء الأتراك ؟

تقدم أفشين مع جيوشه هذا المرة باتجاه الجنوب ؛ كان هدفه مالاطيا ، ومنذ قدوم الأتراك إلى هذه المنطقة ، أُجبر الأرمن المضطهدون للسكان المحلين على الانسحاب إلى أماكن أخرى .

كان تقدم الأتراك يتواصل .

فتحت قيصرية في عام ١٠٦٧ ، وهكذا أصبح الأناضول الأوسط بأكمله تحت سيطرة الأتراك .

أخبر أفشين السلطان بهذه الانتصارات في رسالة أرسلها له . ملأت فرحة وبهجة كبيرة ألب أرسلان عندما قرأ رسالة أفشين التي وصلته وهو في خيمته .

حضرة سلطاني ألب أرسلان ،

إن قبولكم لرجل تركماني لا قيمة له مثلي ليكون أخ لكم ، لقد أظهر كم أنتم على خلق عظيم .

كوننا إخوة ، فإن التقدم الذي تظهرونه اتجاه هدف ما أصبح ديناً في رقبتي .

الحمد لله ، بإذن الله العظيم وبمساعدة السلطان القادر فإن كل

سهم نرميه يصيب هدفه ، كل سيف يهاجم يفتح كل الآفاق الجديدة أمامنا .

إنه لشرف لي أنكم قلتم إننا ساهمنا في نيل قيصرية ومالاطيا ، كما قلتم أنتم عندما وضعنا يداً بيد لم يتبق لمن يقف ضدنا أي قوة . لقد شكل ذلك بالنسبة لي فرحة وفخر لا يمكن وصفهما . فليعش سلطاني بأمان الله مع دولتنا وأمتنا .

* * *

استمر الأتراك بالتقدم بكل عزمهم . مروا من الجنوب إلى الشمال ، ومن ثم تمركزوا في وسط الأناضول . هل يكفي كل هذا لإرضاء مشاعر المحارب في الروح التركية ؟

وقد ضرب ألب أرسلان المثال الأجمل في روح المحارب التركي . كان الهدف الجديد هو القوقاز . إلى جانب ألب أرسلان ، كان هناك سافجاكين ، الفاتح القوقازي الشهير ، جنباً إلى جنب مع نظام الملك . هذه الحملة كانت حملة مختلفة . كان السكان الأصليون ينتظرون السلطان الجديد بحماس كبير ؛ لأن المصاعب التي واجهوها طغت على حياتهم .

وعندما دخل ألب أرسلان البلاد وبدأ الجيش يتقدم ، كأن الأرض تهتز من مكان إلى آخر . اصطف الناس في الشوارع في صفين وأمطروا الزهور على السلطان وجنوده . يا لها من صورة جميلة ! التقى الناس بعضهم بعضاً تجمعهم روابط الحب والعدالة .

تقدم شيخ قروي مسن باتجاه حراس السلطان مع خفة حركة غير متوقعة . أمسك بلجام حصان السلطان .

كان الجميع ينظر في فضول . ما الذي يحدث ؟ ماذا يريد هذا الرجل العجوز ؟ ماذا يحاول أن يفعل ؟

عندما رأى السلطان الشيخ القروي العجوز ، ترجل عن جواده ، وقبل أيدي الرجل العجوز . كان الرجل المسن يبكي من جهة ، ومن جهة أخرى يصرخ بقوة : أهلاً وسهلاً بك يا سلطان الدنيا ، مرحباً ! فليدمك الله لنا . ولتبقى فوق رؤوسنا !

وبعد أن قال العجوز : « إن شاء الله » . قال السلطان : « آمين ! » وسالت دموع السرور من عينيه ثم استمر في طريقه .

استمر ألب أرسلان في التقدم .

تماماً كما في كل الحروب ، حقق ألب أرسلان أيضاً فتوحات جديدة في حملات القوقاز . في هذه المرة فتح طرقاً جديدة في الغابات . لم يجد الجنود ، الذين كانوا يسيرون بسهولة كبيرة في الطرق المفتوحة ، صعوبة في فتح أخرى جديدة .

لم يقتصر ألب أرسلان على فتح قلاع جديدة . لم تكن حكاية النعجة التي كسرت قدمها أيام عمر عليه السلام تخرج من عقله . كان يخدم الشعب بعدالة كشرط للإيمان . كان كل شخص في السلطنة يعيش بأمان على حياته وممتلكاته .

كان الملك سيكي يعرف سمعة ألب أرسلان الشرعية . أرسل الملك مبعوثاً إلى السلطان .

قال السلطان ألب أرسلان للمبعوث : إنه لشرف لنا أن نرحب بملككم .

وعند قوله ذلك لم يفهم من حوله أي شيء من هذا الكلام . حسناً في معظم الأحيان كان الرسل يأتون إلى حضرة السلطان ، لكنه لم ينطق لأي منهم بمثل هذه الكلمة الجميلة . لماذا كان ينتظر الملك « بشرف » ؟

إن السلطان عندما يحضر الملك يريد أن يكون هناك مسائل للإمام تتعرض للتخمين قليلاً وكثيراً .

عندما دخل الملك سيكي ورجاله المقربون إلى حضرة السلطان ، استراحوا كما لو كانوا قد دخلوا منازلهم . رحب السلطان بهم بلطف شديد . أكلوا معاً . وبعد رفع المأدبة ، وقف الملك سيكي وقال بتعبير محترم جداً :

كما عرضت عليكم مع المبعوث الذي أرسلته إليكم ، إنها لفرصة نادرة الوجود بالنسبة لنا أن نكون تحت إدارتكم . لأننا نعرف كم أنتم رئيس دولة عادل ومحنك . لم يسجل التاريخ أن شعبكم غير راضي عن إدارتكم .

رد ألب أرسلان ، فأجاب :

عزيزي الملك ! لقد سعدنا بهذا القرار الذي قدمتموه يا ملكنا العزيز .

قطع أولئك الذين كانوا هناك التركيز ، وخاصةً الإمام ، بدأ القلب بالخفقان بسرعة .

نعم ، يتعلق الأمر بقرارنا الآخر ، كنا نفكر في هذا الأمر لفترة طويلة . وهذا يعني أن النصيب كان في هذا اليوم .

توقف الملك للحظة ، بدأ النظر بعناية في وجه أولئك الذين كانوا هناك . كانوا كلهم أناس طاهرين في نظراتهم ، كأنهم يقولون له أهلاً وسهلاً بك بيننا .

لم يستطع الملك الانتظار أكثر من ذلك . وقال : أنا ورجالي قررنا أن نصبح مسلمين !

ظهرت الابتسامة التي في قلوبهم على شفاههم ، ومن هناك انتشر نداء « الله أكبر » إلى السماء .

كرر ضيوف الشرف هؤلاء خلف ملكهم كلمات الإمام :

« أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله » .

* * *

أراد البيزنطيون السلام مع السلاجقة . كان سبب ذلك معلوماً . بقيت الإمبراطورية الكبيرة تحت القبضة من كل حدب وصوب . الطريقة الوحيدة التي وجدوها أنهم عرضوا السلام على ألب أرسلان . تم إرسال وفد كبير من المبعوثين للسلطان الكبير . حضر السفراء أمام ألب أرسلان ومعهم ١٠٠ ألف دينار ، و٤ آلاف نوع من الملابس الثمينة و٣٠٠ بغل محمل .

التقى ألب أرسلان مع المبعوثين بجدية كبيرة ؛ أرشدهم إلى أين يجلسون .

وقف رئيس المبعوثين على قدميه مطمئناً ، وبدأ في الحديث رويداً رويداً :

ـ سلطان ألب أرسلان ! أود أن أنقل لكم تحيات الامبراطور البيزنطي ديوجينيس . إن امبراطورنا يرسل لكم هذه الهدايا كعلامة على حسن النوايا .

قال السلطان : أنتم ضيوفي ، وهداياكم هي موضع ترحيبي .

أعلموا بأنني رحبت بالعديد من المبعوثين مثلكم ، لقد تلقينا منهم العديد من الهدايا .

وتابع ألب أرسلان غير مبالٍ بتعكر مزاج المبعوثين : فلنذهب إلى صلب الموضوع ؛ ماذا يريد إمبراطوركم منا ؟

عرض المبعوثون طلب إمبراطورهم متأكدين من قبوله : سلطان ألب أرسلان ! إن إمبراطورنا العظيم يعرض عليكم سلامًا دائمًا . ولتحقيق ذلك ، نكتفي بإعادة الأماكن التي سلبتنا إياها والعودة إلى الأرض التي جئتم منها !

ـ هذا يعني أن الإمبراطور لا يعترف بحقنا في العيش على هذه الأراضي . . .

ـ التعليق لكم ياسلطان .

ـ ليس هناك حاجة للتعليق . ما هو مطلوب منا هو أنه يجب علينا التخلي عن هذه الأراضي التي سقيناها بدمنا من أجل بعض الهدايا . . .

تلاقت عيون ألب أرسلان مع عيون وزيره وقادته . أخبروه جميعهم ما هو الجواب الذي يجب أن يقال . وأجاب السلطان مخيباً آمال المبعوثين قائلاً : أخبروا امبراطوركم إن السهم بمجرد خروجه ليس له عودة للخلف . إذا كان لديه قوة كافية ، فليخرجنا من هذه الأرض !

وبعدما أرسل مبعوثي البيزنطيين ، بدأ ألب أرسلان يقدر الموقف مع وزيره . كان نظام الملك يفهم أن السلطان يريد أن يعرف البيزنطيون حدهم ، فقال : بالطبع يا سلطاني أنتم تعرفون أفضل مني . لكن إذا سألتني ، فإنني أرى أنه لم يحن الوقت بعد لضرب البيزنطيين .

ـ أريد أن أعرف لماذا تعتقد ذلك .

ـ إذا سمحتم لي يا سلطاني أود أن أذكركم ببعض الأمثال .

ـ بالطبع أسمح ، تفضلوا قولوا .

ـ تقول أمثالنا « شجرة ، ولها فروع مهدرة » ؛ السلاجقة يتجهون نحو أن يصبحوا شجرة كبيرة . لكن فروع هذه الشجرة ليسوا في وحدة مع الجسم حتى الآن .

ـ ماذا يعني هذا ؟

ـ هذا يعني يا سلطاني أنه يوجد عشرات المدن وعشرات القلاع حولنا لم تؤخذ بعد ، لن يكون من الحكمة مهاجمة البيزنطيين بينما بقي عشرات القلاع . وعلاوة على ذلك ، عندما كان معظمهم في يد المسلمين ، الآن أجبروا على أن يكونوا تابعين للإمبراطورية البيزنطية .

أولاً ، من الضروري تحرير هذه القبائل من أيدي بيزنطة .

وهكذا ، فإن شجرة السلاجقة ستشكل كامل الجسم والفروع .

ـ تقول الصواب يا وزيري ! ككل وقت تقول الصواب . إذاً ، ما رأيك في الانتقال إلى أهداف جديدة ؟

ـ لقد قلت إنكم تعرفون أفضل مني يا سلطاني .

وكان الهدف الجديد لألب أرسلان هو مصر . لكن لم يكن هناك داعي حتى للسفر ؛ لأن ألب أرسلان أرسل الأخبار إلى الوزير المصري بأنه جاهز للدخول .

هذه المرة ، قام ألب أرسلان بالتوجه إلى أهداف أخرى : لقد فتح كل من ملاذكرد وإرجيش اللتين أوصى أرطغرل بك وهو على فراش الموت بأخذهما . كما تم ضم كل من ديار بكر وأرفا وحلب إلى الأراضي السلجوقية .

استمر التأثير التركي في الانتشار في جميع أنحاء الجغرافيا الأناضولية .

* * *

من وجهة نظر البيزنطيين أصبح ألب أرسلان يتقدم كثيراً ، وإذا استمر هكذا لن يتبقى في الأناضول مكان لم يأخذه .

أرسل الإمبراطور مبعوثاً آخر للسلطان . لم يكن لدى المبعوث الشجاعة للإخبار مباشرة في وجه ألب أرسلان بطلبات البيزنطيين بل بالأحرى بتهديداتهم ؛ لذلك قدم الرسالة لألب أرسلان ليقرأها . قال الإمبراطور التالي في الرسالة :

« ألب أرسلان ! نحن نتابع الفتوحات التي قمتم بها لغاية الآن بقلق بالغ . أردنا أن تعرفوا أن الأراضي التي تتجولون حولها هي أراضي خاصة بنا . ومن هذا المنطلق ، فإننا نطلب أن تتركوا فوراً كل من المدن التالية : ملاذكرد ، أخلاط ، أرجيش ، منبج ، وإلا فاننا سنحرك جيشاً كبيراً وسنجعلكم تعرفون حدكم ! »

غضب ألب أرسلان من تحدي الإمبراطور هذا ، وأعاد مبعوثه بعد أن أجابه بجملة واحدة فقط : أعلى ما في خيله يركبه !

وبناء على الجواب السلبي الذي تلقاه الإمبراطور من ألب أرسلان ،

قام حقاً بتحريك جيش كبير إلى أرضروم . أراد السلطان أن تستمر هذه الحملة مع محمود أمير الجيش إلى حلب ، لكنه عاد وحده إلى الري . فهمت عودة السلطان إلى الخلف من قبل البيزنطيين كأنها نصر كبير لهم . **ومع ذلك لم يكن انتصار للبيزنطيين بل كان إجراء قام به السلاجقة .**

في تلك الأثناء لم يتمكن ألب أرسلان من الابتسام عندما قرأ خطاباً تلقاه من أفشين . كتب أفشين في خطابه أنه غزا دول الإغريق وعاد مع غنائم كبيرة وأن الإغريق لم يكن لديهم القدرة لمحاربة الأتراك .

قال ألب أرسلان : لديهم العديد من الجنود في جيشهم ، لكن الشجاعة بداخلهم ضعيفة .

* * *

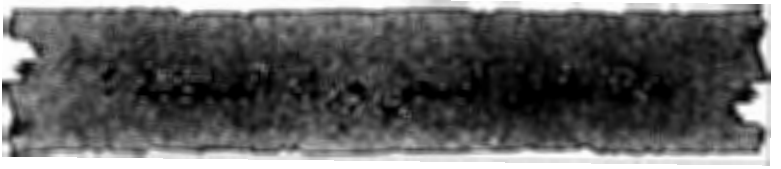

كان ألب أرسلان يناضل من أجل قضية عظيمة وهي فتح الأناضول من جهة ، في حين لايزال يناضل ضد أولئك الذين يلهثون وراء الحكم من جهة أخرى . أحدهم كان صهره الباسان الذي هزمه السلطان وأخذت زوجته منه .

كان الباسان يلاحق السلطة ، لكنه لم يكن بمقدوره إظهار الشجاعة لمواجهة ألب أرسلان . حدث من جديد ، وهرب بكل ما يملك من قوة من أمام السلطان .

وصل الباسان ، الذي تبعه أفشين ، إلى أطراف سيواس . تقابل الباسان مع مانويل كومينوس ، قائد الجيش الشرقي البيزنطي جوار سيفاس وقد فاز الباسان بالحرب بينهما . واجه كومينوس رغم هزيمته وضعاً لم يواجهه قائد مهزوم . هذا ما قاله القائد المنتصر الباسان : مانويل كومينوس ! كما ترون ، لقد قمت بحل جيوشك وأخذك أسيرًا .

وفي هذه الحالة سوف تقدرون بأن لدي الحق في أن أفعل

بكم أي شيء يمكن أن يفعله قائد منتصر .

ـ نعم يا الباسان لقد هزمتموني وأخذتموني أسيراً ، لقد كان لكم الحق في أن تفعلوا بي ما تريدون طالما أنكم الذي انتصر في الحرب .

ـ لن أفعل بكم أي شيء .

ـ لن تفعل أي شيء .

ـ نعم لن أفعل أي شيء حتى أنني لن أتصرف كمن كسب الحرب ، لأنني أعرف أن هذه الفوز لن يجلب أي فائدة لي ، فلستم أنتم الخطر الحقيقي بالنسبة لي .

ـ من هو الخطر الحقيقي بالنسبة لكم ؟

ـ أفشين وألب أرسلان بالتأكيد .

ـ أفهم . إنهم أيضاً أعداؤنا نحن .

ـ سيكون من الأفضل لو قلنا عدونا المشترك .

ـ فهمت . . .

ـ لا يوجد ما لا يفهم . خذني إلى اسطنبول ودعني أعمل تحت أمر الامبراطور ، ربما في ذلك الوقت نستطيع أن نخرج أعداءنا المشتركين .

* * *

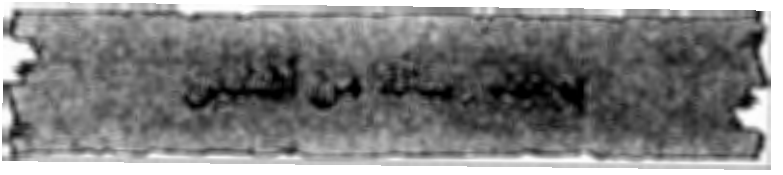

في أواخر عام ١٠٧٠ وصلت رسالة أخرى إلى السلطان ألب أرسلان من أفشين ؛ ذلك الرجل التركماني الشجاع كتب في رسالته :

بسم الله الرحمن الرحيم :

الابن الشجاع للأمة الاسلامية والأمة التركية وأمة السلاجقة ؛ سلطاني ألب أرسلان !

تعلمون بأن صهركم الباسان جالب العار ، بدأ يبحث عن منفذ للهرب خوفاً منكم بسبب خيانته . لقد تقدمت قواتي فهرب وأنا طاردته ، ركض بعيداً ، وأنا طاردته ، واستمرت هذه المطاردة حتى الجبهة البيزنطية . لقد علمت أن الخائن الذي يدعى الباسان لجأ إلى عدونا البيزنطيين .

هل ستفوت الإمبراطورية البيزنطية هذه الفرصة ؟ الباسان الذي تمت دعوته بسرعة إلى القصر تم احتضانه ونصب والياً . فور ما علمت بالأمر ، أرسلت مبعوثاً إلى البيزنطيين من رجالي

وأعلمتهم أنني لا أريد إلحاق الضرر بأي مدينة تابعة لهم ، وأن كل ما أريده فقط أن يعود الباسان إلينا .

ولكن الإمبراطور رفض هذا الطلب . ولم يعطنا الإمبراطور الباسان ، لكنه ندم على عدم إعطائه لنا ؛ لأني وفي طريق العودة فتحت كل البلدات والقلعات على الطريق . لقد تركت للتو بعض الأماكن التي تتطلب عملاً وقوات ضخمة . عندما يحين وقتهم ، ليس لدينا أي شك في أن سلطاننا الموقر سيقوم بفتحهم .

أطال الله في عمر سلطاننا وبلادنا أيضاً .

رفيقك وصديقك « أفشين »

تلقى ألب أرسلان العديد من الرسائل في ذلك الوقت ، ولكن لم يكن سعيدًا بقدر ما سعد برسالة أفشين . كان هذا الرجل التركماني الشجاع حقاً رفيق روحه ، وبدا حقاً كصديق له .

* * *

« لقد حان الوقت الذي يقال فيه لهؤلاء الأتراك قفوا . يلتفون مثل حلقة النار من كل حدب وصوب . من جهة البوشناق الظاهرين لنا ولكهنم متربصين بنا ، ومن جهة أخرى الأوز الذين لا يظهرون لنا وجهًا مريحًا . والمدعو أفشين الذي ظهر وسلمت له مدننا ولا يعترف بحقنا الحق في الحياة ، وعلاوة على كل هذا ، ألب أرسلان ؛ البلاء الأسود . . نعم ، إنه بلاء أسود بالنسبة للبيزنطيين . . . إنه الشخص الذي يوجه أعدائنا . . . يتحسس النفس الذي في رقابنا . . . في يده السيف الذي قد ينزل في أي لحظة على رؤوسنا . الذي حرمنا من النوم . جنوده ينادون : « الله ! الله ! . . . هذا يكفي ، لقد حان الوقت الذي يقال فيه لهؤلاء الأتراك قفوا » .

بهذا الكلام بدأ الإمبراطور رومينوس ديوجينيس بالتحدث مع قادته الذين مثلوا أمامه . تملك أولئك الذين كانوا في حضرته شعور بالإثارة للحظة . لكن هذه الإثارة كانت قصيرة الأمد عندما حلت محلها حالة من القلق والريب والخوف .

كان القادة يعرفون جيداً أن الجيش البيزنطي كان كبيراً ، لكن لم

يكن بينهم اتحاد مثالي ؛ فمن جهة كان هناك نزاع داخلي ، ومن جهة أخرى كان الجنود الموجودون غريبين عن الروح البيزنطية . لم يخرج من بينهم سوى حشد جاف ؛ كان هذا الأمر هو الشيء الذي أزعج القادة . ومع ذلك ، كانوا جميعًا جنودًا بيزنطيين ، وكان عليهم بذل أرواحهم عند الضرورة .

استمر الامبراطور في الكلام : « **إذا لم أعد هؤلاء الأتراك البربريين من حيث أتوا ، فلن يكون لنا الحق في العيش في هذا العالم** » .

يا قادة البيزنطين البواسل !

ـ هل أنتم مع دحر الأتراك إلى حيث أتوا ؟

كلمة « نحن مع . . . » ، خرجت من أفواه عدد قليل من القادة . كان الإمبراطور سيفقد عقله من ذلك . صرخ ديوجينيس ، كادت النار تنبثق من عينيه ، بقدر ما أخرج رئتيه : أقول لكم قادة البيزنطيين البواسل !

هل أنتم مع دحر هذا التوسع البربري إلى الأراضي التي أتوا منها ؟

خرج صوت أعلى للقادة هذه المرة ، فقالوا :

« نعم نحن مع . . . » .

* * *

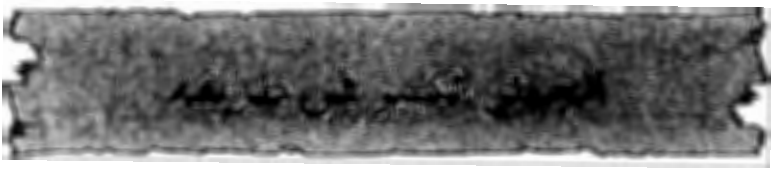

شعر الإمبراطور بوجود تردد عند قادته حول إعادة الأتراك إلى الأراضي التي أتوا منها . كما شعر بالضيق لأنه كان عليه أن يذكرهم بأن بيزنطة كانت إمبراطورية عالمية . من ناحية أخرى ، لم يكن هناك مكان للحزن في مثل هذه المواقف . كان من الأفضل ترك بعض الأشياء للوقت المناسب .

اعتقد الإمبراطور أن الوقت قد حان لإلقاء خطاب جديد للقادة بعد أن يعبر الجيش مياه الجسور ويكون جاهزًا للمعركة . لهذا الغرض أمر بإعداد وليمة لهم . أكل القادة وشربوا ثم بدأوا بالاستماع للامبراطور :

ـ القادة البيزنطيين البواسل !

بدعمكم لقد أعددنا جيشنا المجيد لوضع حد لحكم السلجوق . لا يضم جيشنا البيزنطيين فحسب ، ولكن أيضاً جنود من الدول الصديقة المؤمنة بعظمتنا . كما أن الجنود من مدن : البلقان ، وبريطانيا ، وكابادوكيا ، وكليكيا ، ومنطقة طرابزون والشعب

الأرمني يضيفون قوة لقوتنا . شارك الجنود الروس والبلغار والألمان والجورجيون وهازار والبوشناق والأوز والقفجاق في صفوف الرتب .

لقد تجاوز عدد الرجال الشجعان الذين يقفون إلى جنبنا ٢٠٠ ألف شخص . كما تجاوز عدد العناصر الذين تلقوا الخدمات التقنية فحسب في جيشنا ١٠٠ ألف عنصر . قولوا لي ، من يستطيع الوقوف في وجه هذه القوة ؟

حاصر حماس الإمبراطور القادة أنفسهم ، استمروا في الاستماع إلى هذا الحديث الناري :

ـ سترون ، قريباً جداً لن يكون للأتراك أثر في الأماكن التي جاءوا إليها ، سندفن كل الدول الإسلامية في صفحات التاريخ الغابرة ! بالطبع لن ننسى قادتنا الذين سيكونون مهندسي هذا النصر . سيكون لدينا أخبار جيدة لهم !

تملك القادة شعور بالحماس كفيضان من الانفعال . ترى ماذا ستكون الأخبار السارة التي تحدث عنها الإمبراطور ؟ لم يحتاجوا لوقت طويل حتى يعلموها .

أوجز ديوجينيس والقادة يستمعون له بآذان صاغية :

ـ مهما كان عدد المدن في مملكة السلاجقة وجميع الدول الإسلامية فإنها ستكون ملكاً لقادتنا !

صرخ الجميع بصوت واحد : « عش ! » ، « دُم لنا ! »

تمكن الإمبراطور أخيراً من إشعال نار بطولية في قلوب قادته . وبهذه السرعة جعل ديوجينيس الجيش الكبير جاهزاً تماماً للحرب في شتاء عام ١٠٧٠ـ١٠٧١ .

خرج الإمبراطور بعد أداء الشعائر والأدعية في قصر آيا صوفيا الكبير .

كان التاريخ آنذاك يوافق ١٣ آذار عام ١٠٧١ .

ذهب الجيش إلى إسكي شهير ووادي قيزيل وإرماك عبوراً بمدينة سيواس . كان الهدف هو الوصول إلى إيران في أقرب وقت ممكن ووضع حد للسلطان .

عندما وصلوا إلى أرضروم ، تلقى الإمبراطور خبراً حَسَّن مزاجه من باسيل الأرميني . وفقاً للخبر من باسيل ، كان ألب أرسلان خائفاً جداً من تقدم الجيش البيزنطي ، وأنه خائف لدرجة أنه اختفى في الأراضي العراقية وفقد هيمنته . هل هناك خبر أجمل من هذا ؟ حتى اسم الجيش البيزنطي كان كافياً للسلطان . ربما يتصرف الأتراك بذكاء ، ويعودون بأنفسهم إلى الأرض التي جاءوا منها . آه ، كم سيكون العالم جميلاً !

رأى الإمبراطور أن السرور إلى هذا الحد كافياً . كما أنه لم يكن

رجل دولة متمرس . ماذا لو كان هذا غير صحيح ؟ أو ماذا لو كان ألب أرسلان قد وضع خطة تفاجيء بيزنطة كما يفعل عادة ؟ لا ، لا هذا الخبر لا يمكن أن يكون صحيحاً . لم يُرى أبداً أن السلطان كان خائفاً وهرب من أي جيش . لقد كان ألب أرسلان سلطاناً مغواراً . لم يكن هو الشخص الذي يهرب من ساحات القتال . لنفترض أن هذه الأخبار كانت صحيحة ؛ ألم يكن معروفاً أن السلطان سيأتي من العراق أكثر قوة ؟ كان من المفترض أن لا يترك التدابير . ولذلك ، أرسل الإمبراطور بعض قواته إلى أطراف جورجيا ؛ بحيث كان من شأنه أن يمنع الخطر من هذا الجانب . أرسل بعض قواته إلى ملاذكرد وأخلاط .

كانت مهمتهم فتح الطرق وإعداد الإمدادات وتدمير طرق عودة السلطان المحتملة .

في الأفق لاحت معركة عظيمة ، وكان الإمبراطور يتخذ كل الاحتياطات اللازمة لكسب هذه المعركة .

* * *

لم تزعج حركة الجيش البيزنطي ألب أرسلان على الإطلاق ، بل إن السلطان كان سيتفاجأ إذا لم تكن هناك حركة كهذه ؛ لأنه كان يعلم أن ديوجينيس حاكماً قوياً . حتى ذلك العدو كان يحب ماردين . كان من المتوقع أن الجيش البيزنطي قرر الوقوف ضد الأتراك ؛ فهم الخطر الأكبر عليهم .

كان أول عمل قام به السلطان هو نشر خبر حول اقتراحات نظام الملك . ووفقاً لذلك ، نشر أن ألب أرسلان ورجاله المقربين فروا إلى العراق خوفاً من الجيش البيزنطي . نعم ، السلطان ترك الجيش والدولة لتسقط في ورطة . ابتسم الأتراك في البلاد لدى سماعهم مثل هذه الأخبار . ومن جهة أخرى ، كان الأرمن مقتنعين جدًا بحقيقة هذه الأخبار ، وقاموا على الفور بإيصال الخبر إلى باسيل . ودون إيضاع الوقت ، أخبر باسيل الإمبراطور بتلك الأخبار الجيدة .

جاء ألب أرسلان إلى سيلفان والموصل في منتصف أيار ١٠٧١ .

ومن الجانب الآخر ، ذكر أن حشداً كبيراً ابتداء من ملاذكرد ، متوجهاً إلى حضرة السلطان ، جاء إلى مناطق الجيش البيزنطي .

كانت رغبتهم الوحيدة حماية السلطان ضد بيزنطة . أعطى ألب أرسلان هذا الوفد الإجابة التي توقعها . بوقت سريع كان الجيش البيزنطي سينقذ الناس من الاضطهاد . وعندما انتشر هذا الخبر بين الناس بسخرية ، كان تتريك الأناضول قد بدأ .

كان جند السلطان قلة ، وكان أفشين في انتظاره . أرسل نظام الدين أمير ميرفاني جنوداً أيضاً . كان المتطوعون من المناطق المحلية ينضمون إلى السلطان . على الرغم من اشتراك كل هذه القوات ، إلا أن عدد الجنود تحت إمرة السلطان لم يكن سوى ٥٠ ألف جندي .

كان ألب أرسلان خائفاً من كون عدد جنوده قليل ، لكنه كان يستمد الشجاعة من النار الملتهبة في قلبه .

ستقوم حرب كبيرة على هذه الإحداثيات .

* * *

عندما وصلت القوات الطليعية البيزنطية إلى القاعدة التركية في أخلاط ، كان ألب أرسلان يتجه نحو هذه المدينة . لم يكن هناك فرح للبيزنطيين . استمروا في المضي قدماً دون أن يتركوا أي قوة إلى الأمام . هذا يعني أن هؤلاء الأتراك لم يكنوا شجعانًا كما قيل لهم .

وهم في طريقهم إلى أخلاط كانت القوات الطليعية البيزنطية تقول الأهازيج بسعادة ، لكنهم كانوا متفاجئين مما سيلاقونه عندما يقتربون من أخلاط .

ما الذي كان يحدث ؟ من كان يلقي هذه السهام من اليمين إلى اليسار واحدة تلو الأخرى ؟ من أين جاء هذا النداء الذي كان يغطي السماء « الله ! الله ! » ؟ من الذي ينزل هذه السيوف الحادة على رؤوسهم ؟ لا يستطيع أحد منهم الإجابة على هذه الأسئلة . لم يستطع أحد منهم أن يساعد الآخر . كلهم كانوا يقاتلون في بحيرة ، دماء من أجل البقاء على قيد الحياة . كانت الحياة الدنيا قد انتهت بالفعل بالنسبة للقوات الطليعية البيزنطية .

أضاف صاندوك ، قائد القوات السلجوقية الذين عادوا إلى أخلاط من خلال الفوز بانتصارات كبيرة في حقول الغاز في الأناضول ، جديداً على انتصاراتهم ، لقد دمرت بالكامل وحدات وقوات الكشافة الطليعية البيزنطية .

كان الجنود البيزنطيون يحملون صليبًا على رأسهم ، والآن هم في قبضة القائد صاندوك . وضع الصليب في علبة جميلة ، وتم إرساله إلى نظام الملك لينقله إلى الخليفة . وعلم العالم الإسلامي بهذا الانتصار .

كان رومونيوس ديوجينيس ، في منطقة ملاذكرد . وهنا ، لم يترك شيئاً لم يفعله بالمواطنين المحليين ، ذبح الناس العزل ، وهدم المدينة وأحرقها .

الآن وبأمل كبير ، كانوا يتوقعون من السلطان أن يضع حداً للبيزنطيين .

كان ألب أرسلان يتحرك صعوداً من أخلاط ؛ وكان الجيشان يراقبان بعضهما بعضاً من بعيد . ربما تتحول هذه المراقبة إلى حرب خطيرة ، عندها سيكون من المفهوم من هو القوي ، من هو الشجاع ، من هو المالك الحقيقي للأناضول . اتخذ الجيشان مكاناً في سهول زحفا بين ملاذكرد وأخلاط . هنا ستقوم معركة تاريخية

مهمة . هنا ، سيتم أسر العديد من الأرواح . الكثير من الأرواح سوف تذهب إلى العالم الآخر . **هكذا هي الحرب ؛ فقط واحد من الجانبين سيكون سعيداً والآخر سيكون غاضباً .**

* * *

كان هناك على ما يبدو فرقاً كبيراً بين القوات المسلحة للبلدين . كان لكل جندي من السلاجقة ما يقرب من أربعة إلى خمسة جنود بيزنطيين . ومع ذلك ، كان هذا الاختلاف مظهراً شكلياً فقط . حيث كان الجيش البيزنطي يتألف من مجموعات كانت غير متآلفة ، حتى أنها تقف ضد بعضها بعضاً من حيث الدين والجنسية والقدوة المثالية . في الواقع ، وفي أول صدام فَرَّ أحد القادة من المعركة الأولى . لهذا جعل الإمبراطور القادة الآخرين يقدمون يمين الولاء له . وذكر كل واحد بالوعد الذي وعده به بأن يجعله والياً .

كان الجيش السلجوقي أقل من الجيش البيزنطي عدداً . ومع ذلك كان يتألف من رجال شجعان يجمعهم الوئام والإيمان والقدوة المثالية . بداية ، كان هناك قادة من ذوي الخبرة والقوة . جميعهم كانوا أبطالاً آمنوا بالحفاظ على الأناضول ؛ الوطن الأبدي . كانوا جميعًا محاربين لم يفكروا إلا بتمجيد شأن الإسلام .

وثق ألب أرسلان بجيشه . وعلى الرغم من ذلك ، إلا أن الفرق

بين القوتين أجبر السلطان على توخي الحيطة والحذر . تحدث السلطان مرة أخرى لقادته على أن ملكشاه هو من سيكون السلطان من بعده .

أوكل مهمة اتخاذ التدابير اللازمة لمستقبل الدولة لنظام الملك .

كانت الحرب قريبة جداً . وقبل الحرب ، اقترح السلطان سلامًا دائمًا عن طريق إرسال وفد مبعوثين إلى ديوجينيس . في تلك الأثناء ، كان الإمبراطور منزعجاً . وتعامل بطريقة وقحة للغاية مع المبعوثين ، فقال ساخراً :

ـ أيهما الأجمل أصفهان أم همدان ؟ أخبروني بذلك ؟

ولدى إجابة السفراء بـ « همدان » ، قال لقد علمنا أن همدان ذات جو بارد . نحن نقضي الشتاء في أصفهان ، وحيواناتنا تقضي الشتاء في همدان .

رد المبعوثون رداً بدا كإنه إشارة إلى نتيجة الحرب : « تستطيع حيواناتكم قضاء الشتاء في همدان ، أما أنتم أين ستقضون الشتاء فلا نستطيع أن نعرف ! » .

* * *

بدأ الجيش البيزنطي بالتصدع . كتب بعض القادة من بين قوات الإمبراطور رسالة إلى السلطان ، قالوا فيها : « فليكن قلبك مرتاحاً ! إن جزءاً كبيراً من الجيش البيزنطي يقف معك » .

كانت تلك أخباراً مهمة لألب أرسلان .

ومن دون تأخير كثير ، انضم الأتراك الشامانيون ، الذين جاءوا للقتال باسم بيزنطة منذ زمن ليس ببعيد ، إلى صفوف المواطنين الأتراك متأثرين بمشاعرهم الوطنية . بدأ الإمبراطور يرى أن قوته تذوب شيئاً فشيئاً . للأسف ، لم يتمكن من إيجاد حل لهذا . أصيب ألب أرسلان بخيبة أمل عندما تلقى رفض الإمبراطور في الرابع والعشرين من آب عام ١٠٧١ . لم يعد هناك خيار آخر سوى القتال .

قال الإمام للسلطان : يا سلطان !

أنت تجاهد في سبيل الإسلام ومن أجل الوعد الذي قطعته للنصر على الأديان الأخرى .

بعد قراءة جميع المسلمين في العالم الخطبة باسمك ، وبعد أن

يصلون من أجل النصر ندخل الحرب يوم الجمعة » . وأضاف : « أنا أؤمن بأن الله قد كتب النصر باسمك » .

رفعت كلمات الإمام هذه من معنويات السلطان . طلب ألب أرسلان من الخليفة الدعاء والدعم لهذه المعركة التي ستحدد مصير العالم الإسلامي . ولهذا الغرض ، أرسل الضباط إلى بغداد ، وزودوا الخليفة بالوضع . أرسل الخليفة بسرور كبير على الفور نص الدعاء الذي أعد لجميع البلدان الإسلامية . وفي الوقت نفسه وبعيون تملأها الدموع دعا المصلون في جميع المساجد في العالم الدعاء التالي :

« يا الله !

ارفع رايات الإسلام !

لا تترك المجاهدين الذين لا يترددون في التضحية بحياتهم من أجل عبادتك وحدهم . ادعمهم بملائكتك .

لقد خرج هذا الجيش سعيًا لكسب رضاك .

هذا الجيش مستعد للتضحية بكل شيء من أجلك .

إذا كانوا في طريقك ومجاهدين لدينك ، فاحفظهم يا رب .

اللعنة على أعداء الإسلام » .

كان جميع المسلمين في العالم يدعون نفس دعاء الخليفة هذا . عندما كان هذا المناخ الروحي متحمساً من جهة ، كانت النار تخف داخلهم من جهة آخرى .

* * *

جعل الرد الرافض من الإمبراطور ألب أرسلان يعد كميناً للجيش يوم الأربعاء . لقد اتخذ جميع الاحتياطات وبدأ بمراقبة العدو . بدأت أصوات التكبير تعلو في الارتفاع ليلاً ونهاراً واحداً تلو الآخرى .

بثت أصوات قرع الطبول ، المحمولة على رقاب الرجال ، خوفاً لا يطاق في قلوب الجيش البيزنطي .

مزامير نحاسية ومزامير صفراء ، وصافرات نحاسية كان وقعها كنجوم من السماء ، كل واحدة سقطت في قلب الجيش البيزنطي ككرة نارية . كانت النيران تتدفق من طرف كل رمح . لم يكن هناك أي نوم في بيزنطة هذه الليلة . تمكن بعضهم من الغوص في النوم ، لكنهم كانوا يستيقظون بكابوس . فهم كل منهم استحالة التخلص من هذا الجحيم الذي وقعوا فيه . ولكن العجز كان يلتف حول أعناقهم . لقد بدأوا ينتظرون ذبحهم مثل أغنام الأضاحي .

جمع ألب أرسلان القوات يوم الجمعة ، ونزل من فوق حصانه

الكبير إلى أسفل التلال ساجداً . أولئك الذين كانوا معه في المكان ، توجهوا إلى السماء قائلين : « آمين ! » وهو يقول :

يا ربي !

أوكلتك نفسي .

أوجه وجهي باتجاه عظمتك .

وأحارب من أجل رضاك .

يا ربي !

نيتي خالصة .

ساعدني .

إذا كانت هناك كذب في كلماتي فاللعنة علي » .

بعدما انتهى السلطان ألب أرسلان من الدعاء ، قال لأتباعه وجنوده : « الأمر والقدر تماماً بيد الله ، لهذا السبب أنتم أحرار في القتال معي أو الابتعاد عني » .

رد الجيش كله بصوت واحد : « لن نخرج عن أمرك أبدًا ! »

بارك الجنود لبعضهم بعضاً .

ارتدى ألب أرسلان لباساً أبيضاً . ربط ذيل الحصان ثم رمى السهم والقوس ، وأخذ السيف والمقبض . فعل الجند ما فعله

السلطان . ركب ألب أرسلان الحصان وقال لجنوده آخر خطاب وآخر وصية له .

شجعاني !

لقد ربحتم انتصارات لا حصر لها حتى يومنا هذا .

أنتم رفعتم اسم السلاجقة ومجد الإسلام عالياً في السماء .

الآن نحن على شفا حرب جديدة .

هذه الحرب ليست مثل الآخريات .

ليس تعدد العدو هو الذي يجعل هذه الحرب مهمة ، إنما كيف ستدحرونهم أنتم .

ما سيجعل هذه الحرب مهمة ، جنباً إلى جنب مع نصرنا ، أن ملكية هذه الارض التي نعيش عليها ستصبح لنا .

إذا وقعت شهيداً ، فليكن هذا الثوب الأبيض هو كفني . وبعدما ترتفع روحي إلى السماء ، اجعلوا ملكشاه سلطاناً عليكم بدلاً مني وتمسكوا به .

فليكن الله بعوننا !

* * *

كان الجيشان جاهزين للمعركة . لم يكن ألب أرسلان يبدأ بشن الهجوم ، نظراً لأن عدد جنوده قليل ، كما أن الجيش البيزنطي أيضاً كان ينتظر هجوماً مستفزاً من الجانب الآخر . وبالتالي ، لن يكون على الجيوش البيزنطية أن تكافح كثيراً من أجل إبقائها كما هي ، لأنها ستعطي خسائر أقل أثناء القتال .

في واقع الأمر ، فإن الإمبراطور الذي تحمل هذا الاستفزاز لبضعة أيام فقط ، أقدم على الهجوم في النهاية . كان يأمل في هذا الهجوم الأول أن تحدث فوضى في الجيش السلجوقي .

منذ الخطوة الأولى بدأت الأحداث التي فاجأت الإمبراطور بالحدوث ؛ كان الأتراك صارمين حقاً . استمر القائد البيزنطي ، الذي تكبد الكثير من الخسائر في أول هجوم له ، في الدهشة . قبل فترة ذهب عدد من الأتراك الشجعان وحل مكانهم جنود جبناء يهربون من ساحات المعارك . كان القائد يتقدم بسرعة كبيرة لمتابعة الجنود الذين هربوا ، ولكن لم يفت الأوان بعد لإدراك أن هذا الإجراء كان مكلفًا للغاية . أطلق الجيش البيزنطي العنان للجانب

الخلفي لكنه وقع بشكل مفاجىء في كمين أعده له الأتراك . . إلى جانب ذلك ، ألا يذهب الجنود الذين فروا مثل الجبناء فجأة ويهاجمونهم مثل الأسود ؟

ما هذا ؟ هل كانت مزحة ؟ بقي الجيش البيزنطي الكبير بين حريقين . ذلك كان أحدهما ، والثاني أنهم كانوا يتكسرون وعلى وشك الاختفاء . قبل أن يعرف الإمبراطور ما حدث ، كان قد تلقى ضربة أخرى ، إذ انضم الأوز والبوشناق في الجيش البيزنطي إلى جيش ألب أرسلان . الإمبراطور يلوح بسيفه ضد جنوده .

يقال : « **لا صداقة من دون مصالح** » .

استمر الإمبراطور في تلقي ضربة وراء ضربة . كان هناك بعض القوات الأرمنية بعد ذلك . كان أيضاً يوجد لديهم غضب على البيزنطيين ، هاجموا جيش الإمبراطور إلى جانب ألب أرسلان .

حاول الإمبراطور إيجاد حل في هذا المحيط العاجز ، إلا أن ضربة جاءت له من قائد قوات الاحتياط الأمير دوكاس . هرب دوكاس من ساحة المعركة بعد أن أعلن عن موت الإمبراطور . لم تقتل هذه الحادثة الأخيرة الإمبراطور ، لكنها كانت أكثر مرارة من الموت ذاته . كان ألب أرسلان يقوم بتوجيه المعركة شخصياً ؛ إذ كان يسيطر على القوات ، وأحياناً كان يشترك في القتال . آيتكين ،

الذي كان قلقاً بشأن جراءة ألب أرسلان ، ذهب إلى السلطان ، وبعد أن انحنى وقبل الأرض طلب بلهجة متوسلة أن لا يضع سلطان المسلمين في ألم بل يضع حياته في خطر . وبناء على ذلك ، بدأ السلطان يتصرف بحذر أكبر . وانسحب إلى مقره . أدى ذلك إلى ذعر قصير المدى في الجيش التركي . ولحسن الحظ ، استمر ألب أرسلان في إدارة الحرب بكامل عظمته .

وبما أنه لم يكن هناك ذعر في المحيط ، استمر الجند في القتال بعنف أكثر من ذي قبل .

في الواقع ، لم يعد الإمبراطور من السلطان . كان يقاتل والسيف في يده ببطولة . لكن عزفت الحرب لحنها وخسر بالفعل .

كانت نهاية المعركة التي بدأت عند الظهر واضحّة في المساء .

تم أسر الإمبراطور وقادته .

استمرت الحرب جزئياً في الليل . لكن هذا كل شيء .

في صباح اليوم التالي ، لم يبق أثر للجيش البيزنطي .

* * *

عندما نقلت الأخبار للسلطان أن الإمبراطور وقع أسيراً ، واجه السلطان ألب أرسلان صعوبة في تصديق هذه الأخبار . لكن الخبر كان صحيحًا . وعلاوة على ذلك ، تم القبض على الإمبراطور من قبل عبد يدعى سعدي . وعندما أحضر ديوجينيس إلى حضرة السلطان ، عرف الأتراك المبعوثين الذين ذهبوا إلى البيزنطيين . كان الاحترام الذي أظهره القادة القبارصة اليونانيين الآخرين ، وخاصة الباسيلاكيس ، للإمبراطور كان كافياً للكشف عن حقيقة الحادث .

قَبَّل ألب أرسلان ، جبين سعدي أولاً ثم قدم له أجمل الهدايا : « لم يعد سعدي عبداً من الآن فصاعداً ، لقد أصبح مساعدًا حرًا ومخلصًا لأمر السلطان » .

تعامل السلطان بشكل جيد مع الإمبراطور . احتضنه . وقال :

« يا إمبراطور ! لا تقلق . الحياة هكذا . « لن أعاملك كسجين ، بل سأعاملك كإمبراطور » .

طلب ألب أرسلان بإعداد خيمة لديوجينيس .

أعطى أوامره للخدم بأن يرحبوا بالقائد البيزنطي ، ذو الحظ التعيس ، كضيف شرف .

وبعد بضعة أيام من النصر ، جاء ألب أرسلان إلى جانب الإمبراطور .

شعر ديوجينيس بالخوف من عظمة السلطان .

كان عليه أن يفكر أن هذه كانت نهايته .

قدم ألب أرسلان سؤالاً بشكل لبق للغاية إلى الإمبراطور : لماذا لم تسلموا الباسان ، ولماذا لم تقبلوا بعرض السلام معنا ؟

وبهذا السؤال ، أصبح الإمبراطور قادراً قليلاً على أن يتنبأ بالحال الذي سينتهي به في المطاف . لذلك حاول أن يتصرف مثل الشجعان :

ـ يا سلطان !

« لقد عملت بجد لأسيطر على وطنك ، لقد أنفقت الكثير من المال ، وجمعت الجنود من مختلف الدول ، لكن لم يكن لي نصيب في النصر . أنا نفسي وبلدي أصبحنا أسرى . هذا هو القدر . الآن أترك الاتهامات وافعل بي ما تريد أن تفعله !

وفي تلك الأثناء بدأ الحوار التالي بينهما :

ـ ماذا كنت ستفعل بي لو وقعت أنا في هذا الوضع ؟

ـ كنت سأفعل ما يجب القيام به تجاه العدو .

ـ ماذا تعتقد أنني سأفعل بك ؟

ـ يمكنك قتلي ؛ فهذا عمل الجزارين . أو لإظهار النصر ، تسافر بي في المدن وتبيعني في نهاية المطاف ؛ وهذا هو عمل صائغي المجوهرات .

لكن هناك احتمال ثالث ، وهو خيالي أو ضرب من الجنون تمامًا .

ـ ما هو الاحتمال الثالث ؟

ـ أن تعيدني إلى عرشي . وأكون صديقاً لك ، أسدّد الضريبة السنوية وأكون تحت أمرك ؛ عندما تستدعيني آتي وجنودي لخدمتك . لن تستفيد شيئاً من قتلي . على العكس من ذلك ، سينصبون إمبراطوراً آخراً بدلاً مني . وسيصبح هو عدوك أيضاً .

ترك هذا الكلام في داخل الإمبراطور شيئا عميقاً . كان على وشك البكاء .

في النهاية كان يجد صعوبة في إتمام كلمته : « لقد سقطت بهذا الحال ، ليس بسبب المعركة ، ولكن بسبب خيانة قادتي » .

وضع ألب أرسلان ـ في لحظة ـ نفسه مكان الامبراطور . لم يكن

يريد حتى التفكير في ما سيفعله به . وهكذا قال لنفسه : « **الفرق بيننا وبينهم أننا نحن أمة رحمة !** »

ثم قال للامبراطور هذه الكلمات : لقد عاهدت الله أنه إذا فزت في هذه الحرب فسوف أعاملك جيداً . الله يحقق رغبات الذين يفكرون بالخير . لهذا السبب ، فإن المعاملة التي ستلقونها مني لن تكون أكثر من هذا الخيار الثالث .

رحب ألب أرسلان بهذا الأسير الضيف لعدة أيام . وأخيرًا ، ووفقًا للعادات التركية القديمة ، أصبحا إخوة ، ووقعا اتفاقاً لحقن دمائهم .

وفقاً لذلك : سيعطي الإمبراطور ١٠٠ ألف دينار فداء لنفسه . وسيدفع البيزنطيون ٣٦٠ ألف دينار ضريبة في السنة . سيتم التخلي للسلاجقة عن المناطق : أنطاكيا ، أورفة ، منبج ، أخلاط ، وملاذكرد التي كانت تابعة للمسلمين سابقاً .

وسيتم إعادة الأسرى المسلمين ، وسيدخل الجنود البيزنطيين الحرب في حال طلب منهم تلبية لأمر السلطان . كما سيزوج الإمبراطور ابنته لابن السلطان . وستبقى الأماكن التي تم فتحها مسبقاً في أيدي الأتراك .

ووفقاً لهذه الاتفاقية الموقعة بين السلطان والإمبراطور بعد

انتصار ملاذكرد ، فإن منطقة شرق الأناضول بأكملها ستقع في أيدي الأتراك . أصبحت البيزنطية دولة مملوكة بالكامل للسلاجقة . كعلامة على ذلك ، كان الإمبراطور يرتدي القفطان والقبعة المخروطية . وأعطي له أيضاً راية كتب عليه الشهادتين .

أرسل ألب أرسلان ضيفه بقيادة رجلين تركيين ومجموعة جنود أتراك مودعيه إلى دولته . وفي الطريق أعطوا عشرة آلاف دينار للإمبراطور لينفق منها في حال احتاج ذلك .

تهانينا . . . تهانينا . . . تهانينا

وجد انتصار ملاذكرد أصداء كبيرة جداً ليس فقط في العالمين التركي والإسلامي ، ولكن أيضاً لدى البيزنطيين وحتى لدى دول العالم .

أرسل ألب أرسلان لا سيما للخليفة بيان فتح . تمت قراءة بيان الفتح الذي أرسل إلى الخليفة في كل مكان ، في حضور وزراء الدولة المجتمعين في القصر في الثاني عشر من أيلول عام ١٠٧١ .

رداً على هذا النصر العظيم ، أرسل الخليفة القائم بأمر الله رسالة إلى السلطان ألب أرسلان . وهكذا قال الخليفة في رسالته :

« **السيد ابننا ،**

الأبن المظفر والمنتصر بدعم الله ،

أعظم سلطان ،

حاكم الدول العربية والفارسية ،

سيد حكام العالم ،

ضياء الدين ،

مساعد الخليفة ،

ملاذ الناس ،

الجناح الأضخم للدولة ،

تاج الدين الوهاج ،

سلطان الدول الإسلامية !

لا أعتقد أنني أثني عليك بالكثير من الكلمات . أنت تستحق الأفضل من جميع أنواع المديح . هذا الانتصار الذي ربحته قد فتح بابًا ضخماً لجميع الدول الإسلامية والسلاجقة . هذا الباب هو بوابة الأرض حيث يضيء نور الإسلام في جغرافية الأناضول . هذا الباب هو المدخل إلى العدالة والكرامة الإنسانية . هذا الباب هو الباب الذي قاد لواء الإسلام إلى العالم . تهانينا لك ، ولكل القادة وكل الجنود ، أدعو لكم من كل قلبي لانتصارات جديدة » .

كان في العالم الإسلامي عيد عظيم من الفرح والاحتفالات .

كانت مدينة بغداد مزينة بطريقة غير مسبوقة . تدفق الشعب إلى الشوارع . كتب شعراء ديفرين قصائد ومدائح وملاحم لتهنئة ألب أرسلان . لم يكن أحدهم يتحدث عن انتصار ملاذكرد فقط ، بل عن آلاف السنين من مغامرات الشعب التركي . كانت أكثر قصيدة لاقت إعجاب السلطان ألب أرسلان واستحسانه تقول :

ملحمة ملاذغرت

في سنة ألف وواحد وسبعون . . . شهر آب . . .

اجتاحت دعوات الفتح العالم . . .

سمع التكبير من الحجارة ومن الجبال ،

أجاب جدي كوركوت : الله واحد !

اندلعوا من جبال ألتاي كالانهيار الجليدي . . .

إنهم الجبابرة الأنقياء كالمخرز . . .

كأن في سور الصين العظيم أربعين من الكورشات . . . .

قضوا أرواحهم دفاعاً عن البلاد . . . .

في هذه المعركة ، السلطان هو واحد منهم . . .

الشهداء لديهم سماء وأرض . . . .

من يريد الجنة يركض إليها . . .

ومن لم يردها رافقته السلامة !

من وادي ملاذكرد يأتي صوت التكبير . . .

هو صوت واحد من السلطان . . .

النفوس القائلة « الله » لا تبقى في الخلف . . . .

إنهم السلاطين الذين يركضون في المقدمة سعياً للشهادة . . .

ابتهجت مثل حصاني الأسود وضحكت . . .

لقد ربطت ذيل الحصان الأسود . . . .

فليكن الخالق شاهداً عليَّ والجبال . . . .

سأقتلع أسناني مع الأشجار . . . .

فليكن جسدي مثل السهم المندفع . . .

إذا مت فليكن لباسي كفني . . . . .

وضعت رأسي على هذا الطريق ولا أستطيع العودة . . . .

فلينعم علينا الله بالنصر . . .

السهام في الجعبة ، والسيف في الغمد . . . .

انكسر في القريب واويْلاه مجنونة . . . .

بقي القليل يا قلبي بقي القليل اصبر . . .

سيكون الله معنا حتماً . .

عندما يأمر السلطان بالضرب . . .

عندما تصل الأسهم إلى الهدف . . .

الأناضول ستكون أرضاً للأمة . .

ستحتفل الأمة التركية بدولتها بسعادة . . .

من صهيل الحصان ، من دماء الشهداء . . .

تحفر الأرض من كل حدب وصوب . . . .

ويأتي التاريخ المجيد من ملاذكرد . . . .

عندها تتدفق الأمة التركية إلى بلد جديد . . .

فليضرب الضربة القاضية ، فلتتأوه المطرقة على الطبل . . .

فلتسمع السماء والأرض صوت التكبير . . .

فلينتشر البواسل كالأهلة . . .

فلتعد أنفاس الكفار . . . .

فلتزأر الأسود ولتبرق البروق . . .

فلتنير مبارزة السيوف السموات . . .

ولا يبقى مجال في المكان الذي قلتم عنه . . .

حلال عليك يا حاكم ! وحلال علينا !

فليحفر ختم « الأناضول » . . .

وليكتب عن تدفق ملحمة ملاذكرد . . .

نحن كنا من منح الوطن للمستقبل . . .

فليدعو الداعون لبياض جبهتنا . . .

سلطاني ألب أرسلان ابن الأتراك ؛ ابن أمتي التركية . . .

تحت خيمة السماء فليقل أنا تركي . . . .

تراثي هو هذا الاحتفال على خصري . . .

حتى يوم الحشر احصلوا عليه . . .

إذا لعب حجر الأناضول . . . .

إذا خرج نور طريق الله . . .

أنت تعرف يدي تمتد إليك . . .

والغافلون واحداً واحداً يجلسون عند ركبتك . . .

ختمنا المجيد حتى يوم الحشر . . .

أنتم أحرار ونحن أيضاً أحرار . .

فليكن أناضولونا عنكم راضياً . . .

فلتلتقوا في الجنة طريقنا السعيد » .

حاول الإمبراطور البيزنطي أن يخفف من وقع الهزيمة الثقيلة التي كان يعاني منها في مالاذكرد بالمعاملة الإنسانية التي رآها من ألب أرسلان . حقاً ، يا له من سلوك رائع ! هل كان سيتصرف مثله لو كان هو في مكانه ؟ الآن ، كان ألب أرسلان أكثر قدرة على تحقيق الوحدة والتضامن في بلاده في مثل هذا الوقت القصير ، أصبح يعرف أهم سبب جعل عرشه يدوم في قلب شعبه . كان سعيدًا لأنه وقع اتفاقية أخوة مع هذا البطل . قال : أتمنى لو أكون مثله .

كان الإمبراطور ، الذي جاء إلى توقاد مع الحراس الأتراك ، يتوقع مفاجأة هنا . وعندما سمعت السلطات البيزنطية بهزيمة مالاذكرد ، تجمعت ونصَّبت ميخائيل دوكاس على العرش . هل كان هناك شيء سيحدث ؟ هل خسارة الأرواح التي ضاعت هي سبب المعاناة ؟ لكن هذه هي بيزنطة تحدث فيها أكثر الأمور غير المحتملة في لحظة . ها هي مرة أخرى . لم يعد ديوجينيس مجرد قائد مهزوم ، بل إمبراطور أطيح به .

كان الإمبراطور يقف خلف الكلمات التي قدمها لألب أرسلان . لم يكن يستطيع القيام بخطوة خاطئة ضد السلطان ، إذ تعلم ما تعنيه الشجاعة والإنسانية . أرسل ٢٠٠ ألف دينار تم جمعها في توقاد إلى السلطان ، وهدايا ثمينة قيمتها ٧٠ ألف دينار . كان هناك مذكرة بين الهدايا . ذكر الإمبراطور في هذه المذكرة أنه لم يعد قادراً على إرسال الأموال لأنه فقد العرش .

ودع الإمبراطور قوات الحرس التركي . وجاء إلى إسطنبول بزي الراهب مع عدد من الرجال المقربين منه جداً . ظن أنه قد يستطيع إيجاد طريقة لاستعادة العرش . ربما يمكنه تعليم بيزنطة بأكملها المعاملة الإنسانية التي تعلمها من السلطان . ربما ، ربما ، ربما . . . **تختفي جميع التمنيات في الشوارع المظلمة لبيزنطة ، لقد كان الإمبراطور يعيش حياة نفيه في بلده .**

لم يدم نفي الإمبراطور طويلاً . كان الإمبراطور قد وصل إلى النهاية عندما تم القبض عليه في دير من قبل الجواسيس المتلهفين بالفعل إلى أنفاسه . الإمبراطور الجديد أرسل ديوجينيس ليعيش كسجين محكوم في دير .

ومع ذلك ، وجد ديوجينيس طريقة وذهب إلى كيليكية مع قوة مكونة من ٣ آلاف شخص . كانت نيته استعادة العرش . كان هذا

الكفاح من الإمبراطور المخلوع باهظاً جداً . تصرف الأمير الأرمني السابق سيناهيب بناء على أوامر من دوكاس ، وأفسد الاتحاد الصغير للإمبراطور .

إذ لاقى ديوجينيس الذي تم القبض عليه عقوبة ثقيلة . ذلك الإمبراطور ، الذي كان يعامل كضيف شرف من قبل السلطان الذي هزمه في مالاذكرد ، ألقي به في زنزانة في أرضه ، وسُملت عيناهمن قبل أمير أرمني . ودون أن يمر وقت طويل فقد حياته متأثرًا بجراحه .

* * *

كان السلطان سعيدًا جدًا عندما أرسل ديوجينس الأموال والهدايا من توقاد إليه . هذا يعني أن الإمبراطور رجل يقف عند كلماته . الآن أصبح أكثر سعادة لكون أصبح مثل أخ له . كان من المفهوم أن الأمور لا تسير على ما يرام أبداً عندما فتح الهدايا ووجد بينها مذكرة من الإمبراطور للسلطان . لقد أردك أن ديوجينيس ، لم يعد الإمبراطور بعد الآن . لذا فإن الاتفاق الذي أبرمه معه لن يكون نافذاً أيضاً . كان يرى الإمبراطور كأخ له . لكن بيزنطة كانت تقف أمام عدو حقيقي . الآن ، كان عليه أن يكمل فتح الأناضول .

جمع ألب أرسلان قادته ورجاله . وقال : « إن السلام الذي أبرمناه مع اليونانيين انتهى من الآن فصاعداً » .

وبهذه الكلمات أدرك جميع الرجال والقادة أن حقبة جديدة في حياتهم قد بدأت . سيتم فتح باقي الأناضول . سيستمر السلاجقة ، مثل النسر ، في التحليق بحرية . في الواقع أعطى السلطان أمرًا محدداً لكل واحد منهم :

من الآن فصاعداً ، لا تشفقوا على اليونانيين !

لم تقف بوجه السلطان . أي قوة .

حتى الأماكن التي لا يمكن الوصول إليها في ذلك الحين تم فتحها .

أصبح ألب أرسلان من الآن فاتحًا للأناضول بأكمله .

* * *

أصبحت الأناضول بأكملها تقريباً تحت حكم السلاجقة . لكن الصراعات حول السلطان لم تنتهي . الجانب المرير من الأمر أن هذه المعارك كانت بين القبائل التركية . وأهمها تلك التي كانت بين أياز ابن ألب أرسلان وصهره حاكم كاراهان نصر خان .

أغار أياز على بخارى وسمرقند كفرصة للتوجه إلى أطراف الجانب التركستاني في مناطق حاكم كاراهان . ولدى عودة خان من تركستان ، ألحق الهزيمة بجنود أياز . لم يكتف خان بهذا ، بل اتهم خان زوجته بالتجسس لصالح أخيها أياز وضربها حتى الموت .

وبصرف النظر عن الحرب بين الابن والصهر ، تم ضرب ابنته وقتلها من قبل زوجها . وكانت هذه القشة التي قسمت ظهر البعير . قرر ألب أرسلان أن يسافر إلى تركستان .

انتقل السلطان إلى بلاد ما وراء النهر في أواخر شهر أيلول من عام ١٠٧٢ بجيش مكون من ٢٠٠ ألف شخص . الهدف هو إجراء رقابة صارمة على المنازل في تركستان .

عبر ألب أرسلان نهر جيحون مع السفن التي بناها الجيش . كان عبور قوات الجيش النهر بحماس كبير أمراً يستحق المشاهدة . إن عبور النهر يعني توفير سلام داخلي غير متوفر بعد في هذه المنطقة . فقط ألب أرسلان هو من تمكن من تحقيق ذلك .

لم يستطع الكاراهانيون إظهار أي مقاومة . فقط قلعة برزم قاومت بعناد . كان قائد القلعة يوسف الخارزمي يكافح كي لا يسلم القلعة إلى السلطان ، ويعد الخطة تلو الخطة لذلك . دعونا نرى فيما إذا كانت خطط يوسف الخارزمي ستنجح أم لا ؟ التاريخ سيكون شاهد قريباً على ذلك .

* * *

عندما أدرك يوسف الخارزمي ، قائد قلعة برزم ، أنه لن يستطع مقاومة ألب أرسلان أكثر ، فكر بخطة غادرة : في الليلة السابقة ، نظَّم حفلة كبيرة في القلعة . وفي نهاية الحفلة ، قتل زوجته وأطفاله الثلاثة ! نعم ، فعلها هذا الرجل ذو القلب القاتم ، من يعرف أي جزء من الخطة الغادرة ينفذ ، قتل زوجته وأطفاله الثلاثة دون أن ترمش له عين ! في صباح اليوم التالي استسلم للسلطان بعد أن وعد السلطان بأنه إذا سلم نفسه ، فسيترك له قيادة القلعة .

تم إحضار يوسف الخارزمي أمام ألب أرسلان يوم الثلاثاء الموافق ٢١ تشرين الثاني ١٠٧٢ . وقف قائد القلعة أمام السلطان يحك بيده . سقط من مكانه وسط اندهاش الحاضرين وبدأ يقبل نعلي ألب أرسلان . ما الذي كان يعنيه ذلك ؟ لا يقوم الأتراك ـ حتى لو هزموا ـ بتقبيل أحذية أي شخص آخر . هنا كان يجب أن يحدث شيء آخر .

عندما أصبح من الواضح أن النية الحقيقية ليوسف خارزمي لم

تكن هي تقديم الاحترام للسلطان ، فقد انتهى كل شيء . هذا القائد الغادر طعن صدر السلطان بسكين كانت مخبَّأة في حذائه . كان تمزيق يوسف خارزمي من قبل حرس السلطان لن يغير شيئاً كثيراً ؛ لأن السلطان أصيب بجرح بالغ .

أصيب ألب أرسلان بجرح عميق جدًا . ما كان أعمق من هذا ، أن هذه الضربة لم تأتي من عدو مثل البيزنطيين . ليتها لم تأت من شخص قريب . كان السلطان فضولياً حول الشخص المدبر الحقيقي لهذا الاغتيال . ترى ، من أعطى يوسف هذا الخنجر ؟ من كان يريد روح فاتح الأناضول ؟ ما الذي سيناله بقتل ألب أرسلان ؟ ألب أرسلان واحد يموت ، وألف ألب أرسلان يبعث من جديد . لم يكن ملكشاه يتردد للحظة في ملىء مكان والده .

كان جرح السلطان ثقيلاً جدًا .

فهم ألب أرسلان أن موعد موته اقترب فكتب هذه الكلمات لأولئك الذين يكتبون تاريخ البشرية لتكون كذكرى لهم :

كان واحداً من أوقاتي القوية . صعدت على تلة وبدأت في مشاهدة جيشي . من كثرة الجيش وعظمته شعرت أن الأرض ترتعش من تحتي . وقفت بكبرياء وقلت لنفسي : أنا سلطان الدنيا . لا تكفي قدرة أحد لقدرتي . حتى فتحت الصين بهذا الجيش .

وبسبب هذا الفخر ، وقعت في هذا الوضع الذي لا حول له ولا قوة . ومع ذلك ، فإنني كنت أدعو الله ليساعدني كلما ذهبت في حملة فتوحات . الآن لا أستطيع أن أفعل شيئاً سوى طلب الصفح من الله . .الله سبحانه وتعالى سوف يغفر لي . حقكم علي . اتحدوا حول ملكشاه .

بعد أربعة أيام ، على وقوع الاغتيال الغادر الذي سبب الجرح البليغ لفاتح الأناضول السلطان ألب أرسلان ، الذي لم يتم الثانية والأربعين من عمره ، أغلقت عيناه من الحياة في الخامس والعشرين من تشرين الثاني عام ١٠٧٢ .

تم إخفاء وفاة السلطان لفترة من الوقت ثم أعلنت . أدى هذا الحدث إلى نشوء حزن عميق في العالم الإسلامي بأكمله .

بقيت أسواق بغداد مغلقة لمدة أسبوع . استمرت الحياة . كان هذا هو الحال بالنسبة لكل من الناس والدول .

كانت دولة السلاجقة تفتح آفاقاً جديدة تحت إدارة السلطان ملكشاه .

كان نظام الملك أكبر مساعدي ملكشاه . تعهد هذان الرجلان قضاء آخر نفس لهما في سبيل الله وفي سبيل إعلاء شأن الدولة السلجوقية . كانت روح السلطان ألب أرسلان وإدارته

وروح المحارب فيه ترشدهم إلى الطريق .

ألب أرسلان يتوفى ، يولد ألب أرسلان جدد .

ملكشاه يتوفى ، يولد ملكشاه جدد .

كانت حياة الدول والأمم إلى الأبد هي الغاية الوحيدة لهم جميعاً .

ستحتفظ النفوس المبذولة في هذه الغاية بوجودها إلى الأبد ، مثل الورود الحمراء التي تتفتح في كل موسم في أرض الوطن .

* * *

ـ أتاق ، علي عثمان ، من السلجوقية إلى العثمانية ، منشورات داملا ، ٢٠٠٤ .

ـ دورسون ، يوسف ، جغرافيا القلب ، منشورات « يدي هارف » ، ٢٠٠٩ .

ـ طوران ، أ . د عثمان ، تاريخ السلاجقة ، الحضارة التركية الإسلامية ، منشورات أوتوكان ، ٢٠٠٣ .

ـ طوران ، أ . د عثمان ، المثل الأعلى لسيطرة العالم التركي ، منشورات طوران ، ١٩٦٩ .

ـ أوغل ، أ . د بهاء الدين ، عصور تطور الثقافة التركية أ ، مطبوعات وزارة التعليم الوطني ، ١٩٧١ .

ـ أوغل ، أ . د بهاء الدين ، مدخل إلى تاريخ الثقافة التركية ، مطبوعات وزارة السياحة والثقافة ، ١٩٨٧ .

ـ أوزتونا ، يلماز ، تاريخ تركيا العظيمة أ ، منشورات أوتوكان ، ١٩٨٣ .

ـ سيفيم ، أ . د علي ؛ سومر ، أ . د فاروق حرب ملاذغرد وفقاً للمراجع الإسلامية ، مطبوعات مؤسسة التاريخ التركي ، ١٩٧١ .

ـ يالسيز أوتشانلار ، صادق ، « سير الملوك : لنظام الملك » ، دار نشر لاجيفرت ، ٢٠١٠ .

* * *

المحتوى

سلطان القلوب 9

من سيرتدي قميصاً من النار ؟ 13

وقت الحملة إلى السلطنة 15

نتضرع لله لشفاء أرطغرل بك 18

حظ سليمان 20

هل يستطيع حظ سليمان أن يجعله سلطاناً ؟ 25

ارتداء السلاح واجب من أجل السلطنة 27

هذه القلعة ضيقة بالنسبة لنا 30

السلطان في طريقه فليكن الله في عونه 32

النسور تتقاتل 34

سلطان واحد هو ألب أرسلان 39

ألب أرسلان يتقدم 42

البيزنطيون تحت المحك 45

الأخ الأصغر يسعى وراء الحكم 49

أعراس أعراس أعراس 51

ملكشاه يصبح ولياً للعهد 53
في حضرة الجد الأكبر للسلاجقة 57
الآن أوان الخدمة 59
شجار الأخ من جديد 65
ثمن العصيان 70
أفشين : سيد تركماني شجاع 72
ألب أرسلان وأفشين يداً بيد 77
ألب أرسلان في القوقاز 80
البيزنطيون يريدون السلام 84
تهديد البيزنطيين 88
ماذا يفعل السعي وراء السلطنة ؟ 90
يوجد رسالة من أفيشن 92
حان الوقت الذي يقال للأتراك فيه قفوا 94
الجيش الكبير في طريقه 96
ما الذي يفعله ألب أرسلان ؟ 100
رواد البيزنطية يدمرون 102
اقتراح السلام 105
الموازين تختلف 107
ألب أرسلان يحمس ويتحمس 110

بدأت الحرب 113
هل الإمبراطور أسير أم ضيف ؟ 116
تهانينا... تهانينا... تهانينا 120
النهاية الحزينة للإمبراطور 126
ألب أرسلان : فاتح الأناضول 129
الهدف من جديد السلم الداخلي 131
السلاطين أيضاً يموتون 133
المحتوى 139